مجلة
روايات أحلام

liilas . com

دقّت ساعة الزهور

hebawebas

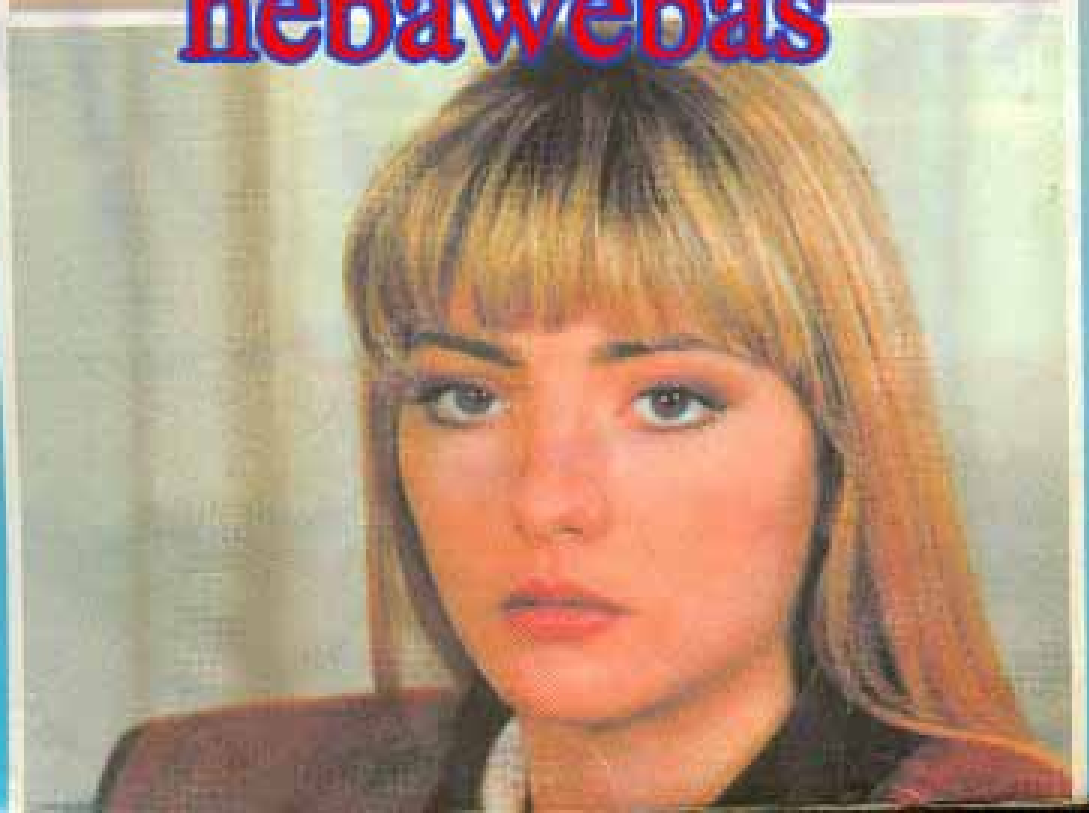

مجلة روايات أحلام

liilas . com

دقت ساعة الزهور

كما يلتقي المسافرون في القطارات على غير موعد قبل أن يغادر كل منهم إلى محطته دون وداع. هكذا التقيا!

تشيلسي الطالبة الجامعية في سنتها الأخيرة وكايد إفيريت الأستاذ القادم إلى الجامعة لفصل دراسي واحد، أجبرتهما الظروف على العيش معاً في مسكن مشترك.

أرادت تشيلسي أن تمر هذه التجربة بسلام، لكن كايد إفريت أفلت كل الخيوط من يدها، وخطورته قادتها إلى حافة الهروب. إنما من يستطيع أن يقفز من القطار بعد أن ينطلق؟

hebawebas

لبنان ٢٠٠٠ ل.	قطر ٦٠٠ ر.	المغرب ١٥ د.	ليبيا
سوريا ٥٠ ل.س	البحرين ٦٠٠ ف.	تونس ١,٥ د.	اليمن
الأردن ١ د.	السعودية ٧ ر.	عمان ٦٠٠ ب.	السودان
الكويت ٥٠٠ ف.			العراق

١ ـ وكان لقاء . . .

عزمت تشيلسي على الاستيقاظ باكراً في صباح ذلك اليوم من أيام كانون الثاني.

ـ أليس الوقت باكراً؟ قالت تلك الكلمات وهي توجّه بصرها إلى القطة السيامية المضجعة على مقربة منها.

حدقت فيها القطة بوسي بعينيها الزرقاوين البريئتين تلف ذنبها السموري البني بإناقة حول جسدها العاجي، وتلعق مخالبها بصبر، وكأنها تشير إلى أن وقت الفطور قد حان!

تثاءبت تشيلسي وتقلبت فوق الأريكة، مركزة على العودة إلى النوم، لكن لا فائدة، فبوسي مصممة.

مدت يدها إلى مبذلها، حينها سمعت صوتاً حذراً يصل إلى مسمعيها عبر الباب:

ـ تشيس؟ هل أنت مستيقظة؟ لدي قهوة لك.

وتبع الصوت فتاة صغيرة الجسم سوداء الشعر ترتدي مبذلاً وروباً سميكة، وضعت صينية القهوة على طاولة منخفضة وجلست محتبية على مقعد بقبع قبالة تشيلسي ثم قالت باندفاع:

ـ الثلج يتساقط!

ـ هذا بالضبط ما لم أكن أرغب في سماعه.

هزت شارلوت كتفيها:

ـ هذا سيجعل التفتيش عن شقة أمراً أسهل، فلن يخرج الكثيرون في نهار كهذا.

مدت تشبلسي يدها إلى كوب القهوة الممزوج بالسكر والحليب حسب ذوقها، وقالت:

ـ لدى الجميع الآن شققهم. ستبدأ الدراسة يوم الاثنين وليس هناك من هو غير مستقر إلاي. لماذا لم أكن ذكية لأعود في وقت أبكر من هذا؟

ـ ليس لهذا فرق، فلا شقق خالية يجدها المرء بين فصلي الشتاء والربيع. إن أمثالك يذهبون خريفاً ليقوموا بدورة تدريبية تعليمية. إن قلة من الناس يتركون مساكنهم في مثل هذا الوقت، أما الأغلبية فيلازمون أماكنهم حتى الربيع.

ـ لماذا يجب دائماً أن تكوني منطقية في كل شيء شارلي؟

فضحكت:

ـ هذه طبيعتي. هل أعجبتك حفلة الأمس؟

عادت تشبلسي إلى فراشها فغرقت في الوسادة ثم تدثرت جيداً.

ـ لقد التقيت «بالسيد المناسب».

لم تُظهر شارلي أقل اهتمام.

ـ لقد قلت هذا القول ثلاث مرات هذه السنة.

ـ لا. حقاً. أنا متأكدة هذه المرة.

تثاءبت القطة ثم قفزت على كتفيها، وتكورت حول عنقها وكأنها ياقة من الفراء، فصاحت بها مؤنبة:

ـ اللعنة بوسي. سأحطمك حين أكون مستعدة...

ثم عادت إلى حديثها مع شارلوت:

ـ إنه فارس مقاتل، لا يقل طوله عن مئة وخمسة وثمانين

سنتمتراً. شعره أشقر متموج، وعيناه نجلاوان زرقاوان..

فقاطعتها شارلوت ساخرة:

ـ وهو دون دماغ يستحق الذكر...

ـ بل على العكس! إنه حديث العهد بالتخرج، يسعى إلى درجة جامعية في العلوم السياسية.

ـ اوه.. علوم سياسية!

ـ دهشت لأنك تحسبين أن لا علوم في الكون إلا في العلوم الطبيعية.

لعقت القطة اذنها، فقفزت مذعورة:

ـ حسناً أيتها الشريرة.. فليكن فطورك أولاً ولأخرج بعده لاصطاد شقة.

بدت شارلوت متجهمة:

ـ ليتني أستطيع أن أدعوك للسكن هنا... لكن...

ـ تشارلي. أنا شاكرة صنيعك وصنيع والديك، فأن يعيراني مكتبتهما بضعة أيام لأكثر مما أستحق. خاصة مع وجود قطتي وأغراضي. كما أن عليّ أن أستأجر شقة خاصة بي بعد زواجك، فلا يمكن أن أعيش معهما بعد رحيلك عنهما.

ـ عندها تسكنين معي ومع فنسنت.

ـ إن هذا أكثر مما يحتاج إليه زوجان حديثا العهد بالزواج. إن زواجك بأخي لا يفرض عليك العناية بي.

ـ لكنني قلقة عليك.

ـ أعلم. لقد تركت منزل عمتنا سارة ما إن شببت قليلاً وها أنا وحدي منذ سنوات.

ـ على ذكر عمتك سارة. إن لائحة مدعويها إلى حفلة الزفاف تزداد يوماً بعد يوم.

ـ تجاهليها، فلست أدري كيف ستطيقين مشاطرتها المنزل نفسه.

ـ هذا المسكن المجاني سيساعدنا.

ـ كان فنسنت بالنسبة لها الولد المفضل. ما استطعت يوماً لنفاذ بجلدي من الأغلاط التي ارتكبها. أما هو فكان ينفد بها دائماً.

ـ لا يمكن لفنسنت أن يرتكب الغلط.. تظن عمتك أحياناً أن لا بأس بي لا لشيء إلا لأنها لا تعتقد أن فنسنت قد يخطىء. لكنها تعود في معظم الأوقات إلى الظن أنني لا أناسبه.

ـ أنا أحب أخي الأكبر أكثر مما تحبه عمتي، وما أعرفه أنك أكثر من مناسبة له.

ضحكت تشارلوت، ثم باشرت بسكب قليل من القهوة:

ـ إنه يعرف كم أكلفه. فالزواج وشيك وكلية الطب في الخريف...

ـ إنه ليس بالغبي.. إذا أعالك خمس سنوات حتى تتمي الدراسة، فبإمكانه طلب الراحة بعد ذلك معتمداً على ما يجنيه الطبيب... وستكونين طبيبه الخاص. من المذهل كيف أن العمة لا تفكر في الأمر من هذا المنحى.

ـ أوه.. إنها لا تحب الفتيات اللواتي يرغبن في أن يصبحن طبيبات. إنها تفضّل أن الازم المنزل حتى ألد الأطفال ـ بعد الزواج بالطبع ـ لكنني عزمت على قضاء معظم وقتي في الحرم الجامعي.

ـ سيعتقد أساتذتك أنك تلميذة متألقة. وسيحدث يوماً ما أن أخبرهم عن سبب انقطاعك عن كل شيء إلا تجاربك العلمية. ثم حين أسكن في منزل والديك سأضطر إلى امتلاك سيارة. فالمسافة من هنا إلى الحرم الجامعي تزيد عن السبعة كيلومترات، ولا

أستطيع تحمّل مشاق السفر في طقس كهذا، أقلت إن الثلج يتساقط؟

ـ ليس بغزارة، لكنه يكفي لإعداد رجل ثلج.

ـ لا أجد هذا مسلياً. لماذا لم ألتحق بجامعة كامبريدج أو أوكسفورد؟

ـ لأنك نلت منحة مجانية في جامعة ريڤرت هنا... فهل نسيت؟

ـ وكيف لي أن أنسى؟ على كل الأحوال يجب أن أجد شقة قريبة من الجامعة. وسأضطر إما إلى دفع مبلغ كبير، وإمّا إلى القبول بشقة وضيعة.

ـ وربما الاثنين معاً.

ـ لا بأس ما دام ليس فيها صراصير.

ـ حبيبتي، ما من شقة في شعاع ثلاثة كيلومترات من الجامعة لا تحوي صراصير، إنها من الحاجيات القانونية.

ـ أيجب أن تظهري الرضى والسرور بشأن الأمر؟

ـ إذا لم تجدي شقة، نتدبر أمرك هنا، فسأجد سعادة في بقائك، إذ نستطيع السهر طوال الليل في تبادل القيل والقال.

ـ سينجح هذا حتى موعد زواجك.. لكن فيما بعد ستتعثرين بي كلما قصدت هذا المنزل.

ـ سيكون الأمر رغم ذلك مسلياً، يشبه ما كنا عليه في الأيام الخوالي التي أمضيناها في القسم الداخلي. أتذكرين عطلات الأسبوع التي كنا نجد أنفسنا دون زائرين أو متصلين هاتفياً حتى طالبنا شركة الهاتف بإرسال من يتأكد من عمل الهاتف؟

ـ وحين قال لنا إنه سليم، أصابنا الاكتئاب وجعلنا نرسل رسائل مزيفة إلى بعضنا لندخل البهجة إلى أنفسنا...

أخرجت تشيلسي سروالاً قديماً من الجينز استعداداً لارتداء ملابسها. وقالت شارلوت خائبة الأمل:

ـ كان هذا قبل أن تجدك مؤسسة الأُخوة الاجتماعية لأنني بعد ذلك أصبحت سكرتيرتك.

ردّت تشيلسي خصلات شعرها الذهبي إلى الوراء وبدأت تسرّحه حتى غدا حريرياً على ظهرها.

ـ إذا كنت أنا من اكتسبت الشعبية والشهرة، فلماذا أصبحت أنت العروس، وأنا وصيفة الشرف؟

ـ الرد سهل، فلستِ ممن يثق بالرجال أقل ثقة.

توقفت تشيلسي عن التسريح:

ـ هذا أمر سخيف تشارلي. لقد خرجت مع مئة شاب على الأقل!

هزت شارلوت رأسها:

ـ وما أن يتعلق بك أحدهم حتى تقولي له بعذوبة إنك تودين صداقته فقط. هذا نابع من خوفك من الهجران، فوالدك هجرك طفلة، لذلك فقدت الثقة بالرجال جميعهم.

عادت تشيلسي إلى تمشيط شعرها، تسأل بعذوبة:

ـ ومتى قررت أن تصبحي محللة نفسية؟

ـ لا تحتاج هذه النظرية إلى تحليل حبيبتي.. إنها من بديهيات علم النفس. لقد استمعتِ إلى ذات المحاضرات التي كنت أستمع إليها لكنك لم تصغي إليها أقل إصغاء يوماً.

وضعت الفرشاة من يدها.

ـ حسناً.. لن يفيدني تحليل مساوئي في إيجاد شقة.

ـ لدى العمة سارة غرفة نوم أخرى.

ـ العيش معها غير وارد.

ـ لكنها عمتك.

ـ لقد كانت مسرورة جداً حين رحلت، ولا أحسبها تستضيفني مرة أخرى حتى وإن رأتني أعيش في سلة قمامة.. إنها لا تحب قطتي.. هذا إذا لم أذكر شيئاً عن أصدقائي الشبان... إنها تخشى أن أكون امرأة ماجنة.

اختنقت الكلمة الأخيرة حين شدت ياقة الكنزة فوق رأسها.. ثم أردفت:

ـ وأنا لست مستعدة للتخلي عن حياتي الاجتماعية إرضاء لها.

ـ حسناً. هي على الأقل راضية عن المهنة التي اخترتها.. فمعلمات اللغة أرفع شأناً برأيها من الطبيبات.. إنها تظن أنني أذهب إلى كلية الطب للتسلية فقط.

وقلدت صوت العمة سارة.. فضحكت تشيلسي.

ـ وكأن دخول كلية الطب أمر سهل.

ـ لو كنا نستطيع تحمل النفقات لانتقلنا إلى منزل خاص بنا فوراً. لكننا ملزمان بالعمة سارة حتى أوان التخرج. ويبدو لي الأمر في الوقت الحالي وكأنه أبدي.

ـ قد يموت أحدهم ويترك لك ولفنسنت نصف مليون جنيه.

وضعت تشيلسي سلسلةً ذهبية حول عنقها، ومدت يدها إلى قرط مناسب.. فقالت شارلوت بحسرة:

ـ لا أعرف أحداً يملك نصف هذا المبلغ... ما يذهلني دائماً أنك ترتدين ملابسك بسرعة ومع ذلك تبدين أشبه بنجمة على غلاف مجلة نسائية. سأذهب إلى الجامعة بعد بضع ساعات.

ـ لكن عطلة الميلاد ورأس السنة لم تنتهِ بعد!

ـ على أحدهم اطعام فئران المختبر.. أتودين أن أقلك؟

ـ سأتخذ الباص وسيلة، فلدي بضعة عناوين، أريد التأكد منها

أولاً. عليّ بما أن اليوم هو الجمعة أن أجد شقة اليوم حتى أنتقل إليها في نهاية الأسبوع.

ـ أتودين الذهاب إلى السينما الليلة؟ فقد يصطحبنا فنسنت.

ـ أوه... لا أستطيع هذا شارلي.

فسخرت منها بخبث.

ـ من أجل «الفارس المقاتل»؟

ـ اسمه جوناثان، وهو سيصطحبني إلى حفلة موسيقية ستقام في قاعة الفنون في الجامعة.

ـ أعلم.. فحتى للمقاتلين أحياناً ذوق رفيع.. لكن كوني حذرة تشيس.. أنت لا تعرفينه جيداً.

ـ وما المصاعب التي قد أتعرض لها في حفلة موسيقية؟! أنا قادرة على الاعتناء بنفسي خير اعتناء.

بدت الريبة على شارلوت، لكنها قالت بهدوء:

ـ أتمنى لك حظاً سعيداً أثناء بحثك عن شقة.

بعد تلك الظهيرة وبعد أن أرهقتها لائحة العناوين التي معها، اعترفت بأن شارلي على حق بالشك في حظها. بدا لها أن ليس هناك مكان واحد للإيجار ضمن إطار ما تستطيع السير فيه حول الجامعة. شطبت آخر العناوين عن اللائحة وتنهدت، ثم رمت الورقة في سلة المهملات.

أعتمت السماء وأضيئت مصابيح الشارع التي انعكست فوق الثلج المتراكم. لقد ولّى النهار، ولم يحالفها الحظ.. نفضت ندف الثلج عن كتفيها ثم دخلت إلى المطعم القريب من الجامعة طلباً للرّاحة.

هذا المطعم متخصص بصناعة الفطائر الجاهزة المعدّة للأخذ إلى البيت. وهو يقدّم بسبب موقعه في منطقة رئيسية للتجمع

الجامعي وجبات خفيفة متنوعة.

جلست تشيلسي إلى طاولة صغيرة قرب الواجهة الأمامية وحين تقدمت الساقية المبتسمة، طلبت كوباً من الشاي.

كان الثلج يتراكم، منهمراً من سماء رمادية مكفهرة. إن استمر تساقط الثلج ساعة أخرى فسيتوقف السير تماماً، فحتى الآن لا أثر للثلج المتسخ القديم تحت الغطاء الأبيض الجديد.

حركت شرابها وهي تفكر في أن هذا اليوم رائع للمكوث في البيت، ولمراقبة سقوط الثلج من مطبخ دافىء مشبع برائحة الخبز الطازج.. لكنه ليس بيوم رائع بدون مطبخ وخبز قد تدّعي انهما لها.

ماذا ستفعل إن لم تجد مكاناً تسكن فيه؟ التطفل على أهل شارلوت أمر لا يعقل أن تفكر فيه عدا عن انها تريد مكاناً خاصاً بها.

نظرت إلى كوبها تفكر في إمكانية إيجاد غرفة للمنامة في الجامعة فهي لم تلتحق بقسم داخلي منذ أيام الثانوية، أي منذ التقت بشارلوت. والمنامة في الجامعة مرتفعة الثمن. لكن، ربما يكون هذا الخيار الوحيد المتبقي أمامها.

ـ تبدين غارقة في أفكارك.

نظرت من فوق حافة الكوب إلى رجل طويل أسود الشعر، يمسك غليوناً بيده وستدويشاً بأخرى، كان يقف قرب طاولتها يسألها ويشرع بالتنفيذ:

ـ هل لي أن أجلس؟ المكان مزدحم اليوم.

نظرت تشيلسي إلى ما حولها، فإذا المكان كما قال مزدحم على غير عادته بعد الظهر. فعلى ما يبدو أن معظم الطلاب التجأوا إليه هرباً من الثلج وسعياً إلى التقاط بعض الأخبار عن عطلة

الميلاد ورأس السنة. هزت رأسها دون اكتراث، فإن كان شخصاً ذا أخلاق سيتناول سندويشه بصمت.. لكنه لم يفعل:

ـ أأنت طالبة هنا؟

لم تنظر إليه بل أجابت باختصار قاطع:

ـ أجل.

ران عليه صمت مطبق فهنأت نفسها على حزمها، لكنه تابع بعد قليل:

ـ إنها عاصفة ثلجية مذهلة.

أشاحت تشيلسي نظرها عن النافذة التي كانت تنظر من خلالها إلى الشارع ومنه إلى المبنى الأبيض الكبير.

ـ مذهلة؟ كيف لعاصفة ثلجية أن تكون مذهلة؟

ـ لا بد أن تكون كذلك.. لأنك تمعنين النظر فيها.

نظرت إليه بحدة وحذر، وطبقت عليه تقطيبة تعلمتها منذ سنوات، وهي عبارة عن تحديق طويل بارد يدفع أكثر الرجال تهوراً في نصف دقيقة إلى التضعضع والتراجع ولكن هذه الطريقة لم تجدِ نفعاً مع هذا الرجل. تفرست فيه فترة تبينت خلالها أن له وجهاً مثيراً للاهتمام وأنفاً يبدو وكأنه مكسور على الأقل مرة واحدة وكتفين عريضين عرض كتفي مصارع، وشعراً بنياً قاتماً مقصوصاً بدقة ليصبح أجعد. إنه أكبر سناً من أن يكون طالباً عادياً.. ربما هو خريج من خريجي الجامعة.

تابع تناول سندويشه ببساطة دون أي اهتمام.. ثم جعّد الورقة وتناول غليونه. حين أعادت تشيلسي اهتمامها إلى النافذة، قال لها:

ـ هل أستنتج أن ما شاهدته مني أعجبك؟

أرادت أن تسأله ما إذا كان مغروراً كما يبدو لها، لكن اهتمامها

انجذب ثانية إلى المبنى الأبيض في الشارع.. فالنافذة الكبيرة المضاءة التي كانت تنظر إليها حملت فجأة لوحة تقول «شقة للإيجار».

ركضت تشيلسي إلى الباب فلم تكن اللوحة هناك منذ دقيقتين، وهذا حظ لا يحدث إلا مرة واحدة في العمر... لذا لن تقف مكتوفة الأيدي تتساءل ماذا عليها أن تفعل.

اجتازت سيارات مصطفة في أربعة صفوف خلف بعضها بعضاً، متجاهلة صيحة سمعتها من باب المطعم، ولم تقف إلا أمام باب المبنى مقطوعة النفس، ثم أسندت نفسها إلى قائمة الباب... يا لحظها! هذا المبنى هو أحد المساكن الأصلية التي بنيت في الشارع حين كانت المدينة جديدة، وقد هدمت كل المساكن الشبيهة به بعد أن ضمت الأرض إلى الحرم الجامعي. أما هذا وإن أُتلف قليلاً، فهو لا يشبه تلك الشقق التي تحيط بالجامعة والتي لا تعدو أن تكون علباً صغيرة.

وجاءها صوت لم تتوقعه إلى جانبها:

ـ يجب أن تكوني حذرة!

التفتت مجفلة إلى الرجل الأسود الشعر الذي كان يرتقي الدرج المنخفض أمام الشرفة الأمامية المسقوفة، والذي دنا منها حتى وقف إلى جانبها وأخرج الغليون من جيبه ثم قال لها:

ـ لدى السائقين في عتمة كهذه وثلج كهذا مشاغل أهم من الانتباه إلى المارة المتهورين.. على فكرة أنا مدين لك باعتذار.

فصاحت به، وقد تخلى عنها صبرها كله:

ـ بكل تأكيد.. وإن لم تتوقف عن اللحاق بي فستكون مديناً لي بأكثر من الاعتذار.

رفع حاجبيه، ثم أشعل عود ثقاب وقربه من الغليون.

ـ لم يكن لي في ما مضى تأثير في النساء لجعلهن يهربن من المطعم دون دفع الحساب.

فغرت تشيلسي فاها وتمتمت:

ـ لم أدفع؟

نقلت نظرها بحيرة من المطعم إلى المبنى، فإذا عادت لتدفع الفاتورة، قد تفقد الشقة وإن لم تفعل...

ـ اعتبرت ما جرى اطراء لي.. في الواقع.

ـ أنت مغرور لا تطاق...

وخذلتها الكلمات... فالتمعت عيناه السوداوان:

ـ يجب أن تكوني لطيفة معي في الواقع فقد دفعت عنك ثمن الشراب.

أحست بالضغينة، فقالت وهي تعبث بجيبها:

ـ شكراً لك. سأعيد لك المبلغ بالطبع.

لكنه أشار بيده غير مكترث ثم راح يقرأ اللافتة:

ـ شقة للإيجار هه؟ اللقاء بك يجلب الحظ... كنت أفتش عن شقة.

ـ حسناً، تابع بحثك، فهذه لي.

ـ لم تصبح بعد لك.

انفتح الباب محدثاً صريراً، وقبل أن تقول تشيلسي أي شيء أعلن الرجل:

ـ جئنا بخصوص الشقة.

قال الرجل الكهل مبتسماً:

ـ ما أسرع مجيئكما... الإعلان ظهر في صحيفة المساء اليوم... أيمكن أن تدخل... سيد...

ـ إفرت. كايد إفرت.

تطلع المالك إلى تشيلسي مترقباً:

ـ السيدة إفرت ؟

ـ لا.. أنا تشيلسي ستانتون.

قال المالك:

ـ أليس الطقس مهولاً؟ ادخلا من فضلكما. ثمة مدخل منفصل يقود إلى الشقة، لكنني أكره الخروج في البرد، لذا سأصطحبكما إليها عبر منزلي. إنها شقة لطيفة جداً فيها فوقُ غرفتا نوم وحمام وتحت: غرفة جلوس ومطبخ.

أخذ كايد إفرت يتأمل الجدران الخشبية المحفورة والردهة الطويلة ذات السقف المرتفع:

ـ إنها غير عادية.

فأجاب الرجل:

ـ أجل.. لست أدري لماذا ينقسم المنزل أفقياً، لكنها شقة جميلة كان قد قسمها مالكوها القدامى على هذا النحو، لأن أم الزوجة أتت لتشاطر الزوجين السكن.

فابتسم كايد:

ـ هذا يفسر كل شيء.

لا بد أنه ومالك المنزل يتشاركان الأفكار نفسها، فالشقة جميلة فعلاً. غرفتا النوم واسعتان والحمام قديم الطراز أُعيد تجديده، والمطبخ كأنه أعدّ لها. نعم هو غير مفروش بشكل كامل لكن ما فيه يكفي ويزيد. وهو إلى ذلك كبير لذا لا بد أن يكون الإيجار مرتفعاً. لكنها عادت فوبخت نفسها لأن عليها التمسك بها مهما كان الثمن... فهي ليست في وضع يسمح لها بالاختيار.

فجأة أدركت أنها لم تعد تسمع صوت الرجلين.. فأقفلت باب الخزانة وركضت إلى غرفة الجلوس.. إذا تمكن من يدعو نفسه

إفرت من استئجار الشقة، فلا يجب أن تلوم سوى نفسها.

كان المالك يقول:

ـ سأترككما لتتابحثا الأمر، قاصداً شقتي، فأظنني أسمع رنين الهاتف.

حالما أقفل الباب وراءه قالت تشيلسي:

ـ سأستأجر الشقة يا سيد... مهما كان اسمك.

ـ اسمي إفرت وأهلاً بك آنسة ستانتون، لأنني أنوي استئجارها أيضاً.

ـ ولكنني أمضيت نهاري كله في البحث عن شقة ويجب أن أستأجر واحدة قبل يوم الاثنين، موعد بدء الدروس.

ـ حسناً، أما أنا فأمضيت أسبوعاً في البحث ويجب أن أستأجر مكاناً أعيش فيه قبل الاثنين.. أقلت إنك طالبة؟

ـ أجل.. لكن ما الفرق؟

ـ لديك إذن أصدقاء كثيرون في الحرم الجامعي أما أنا فجديد هنا ولا أعرف أحداً، أعتقد أنه لديك عشرات الأماكن للسكن.

ـ وأين تسكن الآن؟ إذا كنت هنا منذ أسبوع؟

ـ في فندق... سأبقى هنا فصلاً دراسياً واحداً، لكن الإقامة في فندق تكلفني أكثر مما أتقاضاه في أشهر، لهذا يجب أن أستأجر شقة.

ـ وماذا حدث «للشهامة»؟

ـ ولت مع حقوق المساواة بين الجنسين.

ـ أظن أن غليونك هذا يجعلك تحس بالجاذبية والعظمة.

فابتسم ساخراً:

ـ بل بالجدية والتفكير.. هل علمت أن الرجل طلب مئتين وخمسين جنيهاً في الشهر.

ـ مئتين و... هذا أعلى مما كنت أعتقد، لكنني سأتدبر أمري.

وتطلعت إليه بشراسة.

ـ الإيجار مرتفع قليلاً، لكن الشقة واسعة.. لماذا تحتاجين إلى هذه السعة كلها؟ ألديك صديق يريد أن يشاطرك إياها؟

ـ بالطبع...

ـ مهما يكن، فلن تحتاجي إلى غرفتي نوم.

دق مالك البيت الباب وقال:

ـ لا أرغب في استعجالكما.. لكن هناك امرأة على الهاتف تريد رؤية الشقة. وأنا لا أريد أن تأتي إلى المدينة في طقس كهذا إذا كانت ستجد الشقة مؤجرة حين وصولها. فماذا أقول لها؟

قال كايد إفرت دون تردد ودون أن ينظر إلى تشيلسي:

ـ سنستأجرها.

فابتسم المالك وتراجع، لكن تشيلسي شهقت:

ـ ماذا تعني.. سنستأجرها؟

ـ اسمعي يا ما اسمك الغريب؟ تشيلي؟

ـ تشيلسي.

ـ قد نقف هنا إلى منتصف الليل في تجادل وتشاجر بصدد الشقة التي قد يؤجرها صاحبها في هذه الأثناء إلى شخص، فما دام لدينا على الأقل شقة نتجادل من أجلها فاجلسي.

تجاهلت اقتراحه.

ـ وماذا تقترح أن نفعل بشأن هذا المأزق؟

ـ لا أرى شيئاً.. لأنني أنوي الانتقال إلى هنا غداً.

وضعت تشيلسي يديها على خصرها:

ـ حسناً، وأنا كذلك.

أخذ يدخن غليونه بسرعة دقائق.

- ألن يغير رأيك شيء؟

- لا شيء.

- إذن.. فلنوقع عقد الإيجار.

- أتقصد أن نسكن هنا معاً؟

- ولماذا لا؟ المكان فسيح، وتقسيمه يفيدنا.

- لن تصدق العمة سارة هذا أبداً.

- وهل تظنين أن الأمر سيكون صعباً، فأنا مضطر لشرح الأمر إلى زوجتي وأولادي الثلاثة.

كادت تشيلسي تصيح:

- ماذا؟

هز رأسه بحزن:

- وتعلمين كيف هو الأمر. لا يمكنني نقل الأولاد في منتصف العام الدراسي، وحين وجدت نفسي فجأة دون عمل، قبلت الوظيفة التي عرضت عليّ.

- لا بد أنك مجنون لاقتراحك أمراً كهذا!

- ربما أنت على حق.. أيمكن أن تزوديني بشهادة حسن سلوك أعرضها على زوجتي؟ تفهمين هذا.

لا بد أنني فقدت عقلي، هذا هو التفسير الوحيد لما حدث. لقد وقعت على عقد شقة يشاطرني السكن فيها رجل لم أشاهده في حياتي وذلك لمدة ستة أشهر.

كانت تحدث نفسها وهي في الحفلة الموسيقية التي تستحوذ عادة على كامل انتباهها. بدا لها الوضع أسوأ حين فكرت في الأمر ملياً، قد يكون هذا الرجل مغتصباً أو هارباً أو مجرماً غير معروف، ومع ذلك ستنتقل لتسكن معه صباح الغد.

أعادت اهتمامها إلى الموسيقى قبل أن يحني جون رأسه نحوها ليقول:

- إنها جيدة.. أليس كذلك؟

هزت رأسها محاولة التركيز. لكنها وجدت أن اهتمامها عاد إلى الانجراف بعد لحظات فقط... ولم تعد تستطيع التركيز على الموسيقى، فتحولت لتتفحص الجمهور.

بعد لحظات قال جون:

- انظري يساراً إلى مقاعد المقصورات تشيلسي.

- أية واحدة جون؟ لا أدري...

- إلى الثالثة في المقدمة. الرجل الفضي الشعر.. إنه باتريك تشامبرلن رئيس بلدية المدينة ونائب في البرلمان. لقد تبوأ هذا المنصب مرات عديدة حتى ما عاد له منافساً.

لكن تشيلسي لم تكن تصغي إليه.. بل كانت تحدق في الرجل الآخر القاعد في المقصورة نفسها.

- وذلك كايد إفرت الذي أتوق إلى لقائه.

التفت أحد الحاضرين إلى جون ونظر إليه شذراً فأخلد للصمت.

إن كايد إفرت هذا رجل شهير ومتواضع... ويبدو أن الاغتصاب والجريمة بعيدين عنه. أعادت النظر إلى المقصورة. إنه الليلة بكل تأكيد يبدو رجلاً مهماً. نعم هو ليس وسيماً لكنه جذاب دون شك، وقد زاد وجود تلك المرأة إلى جانبه هذا الانطباع، فهي أجمل امرأة شاهدتها تشيلسي قط. إنها دون ريب زوجته لذا لا عجب من اصراره على الحصول على شهادة حسن سلوك.

حين حلت فترة الاستراحة، قفز جون من مقعده قائلاً:

- أريد التعرف إلى هذين الرجلين.. أترافقينني؟

لم تكن ترغب في مواجهة كايد إفرت في الباحة، لكنها كذلك لم ترغب في شرح السبب لجون، كما انها تريد أن تتحرى معلومات عنه.. فسألت:

- يبدو لي اسم إفرت مألوفاً.. فلماذا؟

بدا جون مسروراً لأنه وجد من يصغي إليه.

- كان نائباً في البرلمان كذلك، فترة نيابية واحدة، لعلك لم تتعرفي إليه لأنه من الجنوب. هل تقرأين الصحف من وقت لآخر؟

- إن كنت أدرس الأدب واللغات فلا يعني أنني لا أقرأ سوى كتب الأدب والشعر يا جون.

فابتسم:

- من العجب إذن ألا تعرفينه. لقد هزم في الانتخابات الأخيرة وذلك إثر انهيار حزبه، ولقد ترك البرلمان مطلع هذه السنة لكنه سيعود.

- وماذا يفعل في الجامعة إذن؟

- إنه أحد السياسيين القلائل الذين لم يبدأوا حياتهم بالمحاماة.. فهو أستاذ في العلوم السياسية. لذلك، بانتظار أن يعود نجمه إلى البروز ثانية، سيمارس التعليم. ولقد دوّنت اسمي لحضور محاضراته.

- تبدو واثقاً من عودته إلى السياسة.

- هل سمعت عن عائلة كيندي في أميركا؟

- تقريباً، بشكل مبهم. هل هو قريب لهم؟

- بالروح فقط، فوالده يملك تصميم جو كيندي ذاته في وضع أبنائه في البيت الأبيض.

- وستكون السيدة إفرت السيدة الأولى الرائعة.

- ماذا؟ أوه. أتشيرين إلى السيدة التي ترافقه؟ إنها ليست

زوجته.

كان جون قد اقتادها مجتازاً صفين من المشاهدين المتجمعين أمام الباب استعداداً للخروج إلى الردهة واستطاعت أن تسمع المرأة تقول لكايد:

- فلنرجع إلى المقصورة كايد.

- بعد دقيقة نورما.

أما جون فشق طريقه نحوه قائلاً:

- دكتور إفرت! أنا جوَن هارفس وسأكون في صف المتخرجين لديك. ما رأيك بهذا...

عند هذا الحدّ فقدت تشيلسي القدرة على فهم سؤاله، لكن كايد إفرت كان صبوراً عليه وكأن لا أحد حوله غير جون... وما أدهشها أكثر، درجة الاهتمام الذي كان يوليه إياه وهذا على كل الأحوال أهم صفات السياسي الناجح.

أمسكت المرأة المرافقة له كم سترته وهزت ذراعه:

- كايد!

لاحظت تشيلسي بوضوح نظرة الإحباط في عينيه وهو يلتفت:

- نورما...

ثم شاهد تشيلسي فلمعت عيناه ببريق نافذ عندئذ مدت يدها نحوه وألقت عليه تحيتها ببرود:

- دكتور إفرت.

لكنها دهشت مما فعل فقد رفع يدها إلى شفتيه بأناقة متمتماً مقبلاً ظهر يدها:

- آنسة منتانون!

ثم قلب يدها حتى تسير شفتيه على راحتها الحساسة.. فانتزعتها منه. أما المرأة السوداءُ الشعر فقالت ثانية إنما بغضب:

ـ كايد!

ـ أنا قادم نورما عذراً جون. عذراً آنسة ستانتون. أراكما في الغد.

وتحرك بها بين الجموع.

نظر جون بعجب إلى تشيلسي:

ـ حسناً! ألست فتاة غامضة بعض الشيء؟ ظننتك لا تعرفين كايد إفرت.

ـ لا أعرفه يا جون... التقيت به اليوم فقط.. هذا كل ما في الأمر.

تمتم متسائلاً:

ـ نورما الصغيرة هذه مرافقة سيئة وامرأة لا تتحمل مصافحة مئة يد في ردهة مسرح لا تفيده كثيراً في حياته السياسية.

ـ أنا واثقة أنها تجذبه بطريقة أخرى.

نظر إليها جون بفضول:

ـ ليس أقلها أنها ابنة باتريك تشامبرلين. من الغريب أنها لا تحب المصافحة.

ـ ربما لا تجد في الأمر جدوى ما دام هو الآن خارج البرلمان.

ـ يا لبراءتك! السياسي يبقى سياسياً في كل الظروف.

عادا إلى مكانيهما، قبل أن يُعلن استئناف الحفلة. وحدث أنهما لم يتطرقا إلى هذا الموضوع أثناء عرض النصف الثاني من الحفلة. لكن تشيلسي فكرت فيه ملياً طوال السهرة وذلك كلما رفعت رأسها إلى المقصورة ورأت كايد إفرت في مقعده.

عضت ظفرها المطلي باللون الأحمر متسائلة عما قد يحدث حين تنتقل إلى منزلهما المشترك.

* * *

٢ ـ زوجة وثلاثة توائم

حين توقفت سيارة النقل الصغيرة القديمة في الشارع الخلفي الذي تقع فيه شقة تشيلسي الجديدة، أطلق السائق الشاب صفيراً طويلاً خفيض الصوت. وقال الرجل الآخر الجالس قربه بأنفاس مقطوعة:

ـ انظر إلى هذه السيارة الرائعة!

استدارت تشيلسي في مقعدها المضطرب بين الصناديق المكدسة في مؤخرة سيارة النقل، لتنظر. كانت سيارة جديدة منخفضة، من النوع الرياضي الأحمر اللون، المكشوف السقف المشير إلى أن فيها كل مواصفات السيارة اللائقة بالأثرياء... ووجودها يعني وجود كايد إڤرت في المنزل.

اللعنة.. الساعة لما تتجاوز العاشرة. كانت تأمل أن تنقل أغراضها قبل وصوله لكنها الآن ستضطر لتعريف «باد» و «سام» إلى كايد إڤرت!

ودت لو رافقها شقيقها ڤنسنت الذي يعرف من سيشاطرها مسكنها. كان ڤنسنت وشارلوت قد ناقشاها ساعات طويلة ليلة أمس حتى استسلما أخيراً حين فاجأتهما بأنها وقعت العقد وستضطر لدفع الإيجار، سكنت فيه أم لم تسكن. عندها رمت شارلوت ذراعيها في الهواء بائسة:

ـ إذا فشل الأمر يا تشيس اعلمي أن هذا المنزل تحت تصرفك.

التفتت إلى الشابين قائلة:

ـ باد... سام. ربما يجب أن أحذركما...

قاطعها باد وهو يوقف السيارة على مسافة غير بعيدة من الباب:

ـ ماذا؟ هل أنت على موعد مع صاحب هذه السيارة؟ هذه ليست أخباراً جديدة.

ـ ليس هذا بالضبط، لكنني سأعيش معه.

ضغط باد بسرعة على المكابح، وحدق إليها في المرآة... بينما استدار سام إليها وقالا معاً تقريباً:

ـ ماذا؟

ـ وهذا أيضاً ليس بالخبر الدقيق... أنا أشاركه الشقة فقط.

نظر الشابان إلى بعضهما بعضاً، ثم قال باد:

ـ أهذه تشيلسي نفسها التي كانت لا تسمح لي بقبلة حين أقول لها: «تصبحين على خير»؟

رد سام:

ـ لا تنظر إليّ، فقد طلبت مني كذلك أن أكون فقط صديقاً!

ـ وهذا ما أنتما عليه يا شباب... أنتما صديقان طيبان، وإلا لما طلبت منكما مساعدتي في نقل أغراضي.

انحنى سام انحناءة تامة:

ـ شكراً لك... وبما أننا صديقان، فلندخل للتعرّف إلى هذا الشاب حتى نرى ما هو العيب فينا.

ـ لا عيب فيكما! قلت إنني لن أعيش معه...

ـ لكنك قلت هذا منذ برهة!

ـ نحن سنتقاسم الإيجار، وهذا أمر مختلف عما تفكران فيه.. ألا يمكن أن يدخل قولي هذا إلى رأسيكما الغليظين؟

رد باد واعداً، وهو يخرج من السيارة:

ـ سأحاول... ماذا سندخل أولاً؟

ـ النباتات... ضعا اللبلاب المعترش في زاوية غرفة الجلوس... و «الفوجير» فوق رف مغسلة المطبخ.

ـ لا يمكنني التفريق بينهما.

ـ إذن التي على اليمين إلى غرفة الجلوس والتي على اليسار إلى المطبخ. أفهمت؟

ـ فهمت. إنها شقة جميلة تشيلسي... أتريدين أن نضع كل النباتات الأخرى في غرفة الجلوس؟

سأل صوت مهذب أتاهم من منتصف الدرج:

ـ وكم ثبتة هناك؟

ـ أوه.. صباح الخير سيد إفرت.

ـ صباح الخير تشيلسي. صباح الخير يا سيديَّ.

ـ باد، سام هذا السيد إفرت.

وتطوع باد بالتشدق:

ـ نحن صديقاها السابقان... فإن لم تعاملها بالحسنى نلاحقك.

وكادت تشيلسي ترميه بشيء في يدها.. أما كايد ففتح خزانة المطبخ ليتناول منها ابريق القهوة وهو يعلق ساخراً:

ـ هل لديكم نادٍ خاص؟

فتمتمت تشيلسي بغضب:

ـ سأذهب لأتم نقل أغراضي الخاصة. فإذا رغبتم في الوقوف هكذا لتبادل الحديث فافعلوا ما تريدون.

كان باد وسام ما يزالان مستمرين بنقل النباتات ليضعاها قرب النافذة في غرفة الجلوس حين علق كايد:

ـ لمن أكن أدري أنني سأعيش في غابة استوائية...

وضعت تشيلسي حمّالة القطة السيامية في منتصف الغرفة وفتحتها وهي تجيب:

ـ لم يطلب أحد منك هذا...

والتفتت إلى القطة:

ـ ها قد وصلنا يا طفلتي. اعلمي أنه لن يجعلك أحد تذهبين إلى أي مكان حتى ستة أشهر.

رفع كايد حاجبيه:

ـ لكننا لم نتكلم عن غابة استوائية مسكونة ولا عن قطة... ماذا يحدث يا عزيزتي لو كنت مصاباً بحساسية من فراء القطط؟

أطلقت بوسي مواء يثير الإشفاق وقفزت إلى ذراعي تشيلسي التي أجابت:

ـ هذا يعني يا عزيزي أنك ستعطس كثيراً في الأشهر الستة القادمة... فأنا أعرف بوسي قبل أن أعرفك. وإذا طلب مني الاختيار بينكما...

ـ فهمت... فهمت... إنه لمن حسن حظي أنني لا أملك حساسية من القطط.

وضعت تشيلسي القطة على كتفيها ودخلت المطبخ ففتحت الصناديق وأفرغتها. أما القطة فقفزت لتختبىء تحت كرسي متأملة بيتها الجديد بعينين زرقاوين لا ترمشان.

ـ ماذا قلت اسمها؟

ـ بوسي...

ـ عيناها زرقاوان.. لا تضعي طعامها المعلب حيث يمكن أن

أخطىء فأظنه طعامي. فأنا لا أنتبه كثيراً حين أستيقظ في الصباح.

ـ سآتخذ لي جهة كاملة من الرفوف وأترك لك الأخرى لئلا تختلط أشياؤنا كما سنقسم البراد إلى نصفين كذلك.

ـ لقد وضعت بعض الأغراض في الباب.. فافعلي ما شئت.

ـ الأفضل أن نفصل أغراضنا عن بعضها بعضاً. هل اشتريت المارغرين؟ لماذا بحق الله؟

ـ أجل.. وهل عقوبة هذا الإعدام؟

ـ أنا لا استخدم المارغرين، ولا حليب القهوة الخاص، أو أي شيء من هذه المواد الكيماوية التي ستعطل عمل الأبقار.

ـ الزبدة غالية الثمن.

صفقت باب البراد:

ـ وكذلك السيارات الرياضية، مع ذلك لا أراك تقود سيارة من النوع الاقتصادي.

ـ نقطتان رابحتان لك!

نزل باد وسام الدرج، ثم قال سام:

ـ هذا كل شيء تشيس، غرفة نومك مليئة بالصناديق.

ـ شكراً يا شباب. أشكر لكما هذه المساعدة.

ـ يسرنا أن نعرف أننا ما زلنا ننفع لشيء ما حتى وإن كنت ستعيشين مع رجل آخر.

نظرت تشيلسي بسرعة إلى كايد، الذي أسند رأسه إلى ظهر مقعده، وبرقت عيناه بخبث...

ـ أتودين الذهاب إلى مباراة التنس الليلة؟ (سألها باد).

ـ طبعاً... سأتمتع برؤية مباراة جيدة.

ـ سأصحبك في السابعة إذن...

وسارت معهما حتى السيارة مودعة.. فقال لها سام:

ـ رغم كل شيء هو يعجبني. أعني كايد هذا فهو لم ينزعج حين هدده باد... وهذه علامة جيدة.

حين عادت إلى الداخل وجدت كايد في المطبخ وأمامه فنجان قهوة طازج وقطعة حلوى...

ـ لم أعرف امرأة لديها هذه الأشياء كلها. كيف وضعتها في سيارة واحدة؟

ـ باد وسام ينتقلان كثيراً من سكن إلى آخر، حتى أصبحا خبيرين.

ـ عجبت من عدم اصطحابك ذاك الشاب الذي كان معك ليلة أمس. ماذا كان اسمه؟

ـ أنا على يقين من أنك تذكر اسمه.

ـ ترى أما زلت غير مستعدة لتعريفه إلى «الشلة»؟ ألديهم اجتماعات منتظمة، ومسؤولين منتخبين.. لا أحسب شلتك مؤلفة من اثنين فقط.

ـ إنهم جميعاً أصدقاء.

ـ باد وسام هما الفرقة المسؤولة عن تنقلاتك إذن. من حسن حظي أنني كنت في المنزل، وإلا لامتلأت غرفتي بما في هذه من أشياء.. تناولي قطعة حلوى... هذا إذا كنت تأكلين مثلها... هل هي حلوى غير نقية؟

فابتسمت على مضض:

ـ لا بأس بها من حين إلى آخر... فأنا أطهو منها لنفسي أحياناً.

ـ تطهينها بنفسك؟.. عظيم! أنت مدينة لي بواحد إذن. كان يجب أن أسأل إذا كنت «نباتية» كذلك؟

ـ لا. فأنا أحب اللحم.

انتقت قطعة حلوى وأخذت تفتش عبثاً عن كوبها. فسارع كايد ليقدم إليها كوباً من أكوابه قائلاً:

ـ استخدمي تلفازي متى شئت إلا حين تُعرض مباريات كرة القدم.

ابتسمت على مضض.

ـ شكراً لك.. أظن أنني كنت شريرة معك قليلاً.

ـ أجل.. قليلاً.

أحست بالغباء فقالت:

ـ استخدم الستيريو الذي أملكه.

رد برزانة:

ـ شكراً.. سأعامله بحذر كامل... أنت لست معتادة على أن يشاطرك الشقة أحد.. أليس كذلك؟

ـ ليس لفترة طويلة.

ـ سأحاول تذكر هذا.. أكنت غائبة عن الجامعة؟

ـ أنهيت دورة التدريب التعليمية في الفصل الأخير، وكان عليّ أن أنتقل بعيداً حتى أجد مدرسة ثانوية بحاجة إلى معلمة جديدة.

ـ تعلمين الأدب الإنجليزي؟

ـ أجل.. وكيف عرفت؟

هز كتفيه:

ـ هذا واضح من صناديق الكتب في غرفة الجلوس. فقد يضطر العديد من الطلاب إلى قراءة كتب الأدب، لكن نادراً ما يحتفظ بها أحد بعد انتهاء العام الدراسي.

ـ أظنك على حق... فالقليل من تلاميذي يشعرون بما أشعر تجاه الأدب الكلاسيكي.

ـ إنها مشكلة يواجهها جميع الأساتذة، فلا أحد يهتم بالمادة.

قدر اهتمامنا نحن بها.

ـ ثم هناك مشكلة النقص في الوظائف.

ـ أتحاولين إيجاد وظيفة؟

ـ تخرجت في شهر أيار.. وها أنا بدأت أكتشف أنني أسأت اختيار المادة، وبما إنني لم أجهد نفسي في الدرس في السنتين الأخيرتين فقد كثر الذين يملكون مؤهلات خيراً من مؤهلاتي.

ملأت كوبها بالقهوة ثم سألته.

ـ وماذا عنك؟ أسعيد بعودتك إلى التدريس؟

تناول قطعة حلوى أخرى:

ـ يبدو إنك قد حظيت ببعض المعلومات عني بالأمس.

ـ لم يكن هذا صعباً.. كان جون أكثر من راغب في سردها عليّ. إنه في لهفة عارمة حتى يكون طالبك.

ـ كان التدريس حبي الأول.. لكنني أحببت كذلك أن أكون نائباً... وتحطم قلبي حين خسرت الانتخابات الماضية.

ـ وهل ستعود إليها؟

ـ طبعاً.. فأنا الآن أحاول إشغال نفسي، حتى أقرر خطوتي التالية.

ـ تبدو متأكداً. وماذا عن التعليم؟

ـ لست متأكداً، بل لدي ثقة بنفسي. أما التعليم فمتوفر لي دائماً. أميل في الوقت الحالي حتى أكون رجل دولة.

ـ الاسم العادي لهذا هو السياسة... لماذا لا تترشح لمنصب محافظ المقاطعة؟ المنصب شاغر منذ أصيب المحافظ الحالي بنوبة قلبية في أحد اجتماعات المجلس.

ـ لا. شكراً لك، فهذا منصب لا يسحرني. لكنني أحاول اتخاذ قرار بمن سأدعم لهذا المنصب. فستكون هذه الانتخابات

اختباراً حقيقياً للقوى السياسية في المقاطعة والرابح سيصبح حليفاً قوياً لي بعد سنتين أي حين أخوض الانتخابات النيابية من جديد.

ـ أنت جادّ في هذا إذن..؟ هل تخطّط لحملتك المقبلة؟

أدهشه سؤالها:

ـ طبعاً.. لكنني لم أقرر رسمياً ما سأفعل. ولهذا لم أوقّع عقداً دائماً مع الجامعة.

ـ لكنك تعرف أنك ستخوض الانتخابات؟

ـ بكل تأكيد... هل أنت مراسلة لصحيفة الجامعة في أوقات فراغك؟

ردت ساخرة:

ـ ليس لدي مثل هذا الحظ... إذا كنت ستسرّب بعض القصص، فسأرى إذا كنت قادرة على ايصالها إلى بعض معارفي. ترى ماذا ستكون عليه مشاعر زوجتك؟

ـ زوجتي؟.. أوه. زوجتي! إنها لا تهتم بما أفعل ما دمت سعيداً.

ـ يبدو إن هذا يناسبك. كم من العمر يبلغ أولادك؟

ـ اثنتي عشر عاماً.

ـ جميعهم في الثانية عشرة؟

ـ أجل.. إنهم ثلاثة توائم. أوَلم أخبرك؟

ـ تعرف إنك لم تقل شيئاً. أهم بنات أو صبية؟

ـ صبيّان وبنت. والأمر مثير للعجب، فالصبيان متطابقان شكلاً أما الفتاة فهي توأم لِـ...

رمت تشيلسي ما تبقى من قهوتها في المغسلة وقالت مقاطعة:

ـ لن أصغي لحظة أخرى سأصعد لإفراغ الصناديق.

* * *

حين عادت ذلك المساء من مشاهدة مباراة التنس مع باد، وجدت كايد متمدداً على مقعده نصف نائم، وصوت الموسيقى ينبعث من الستيريو. كان ملف ملاحظات المحاضرات مبعثراً على الأرض، وعلى ركبتيه تجلس بوسي التي راحت حين رأت تشيلسي تموء وتتمطى.

فتح كايد عينيه ثم انتفض ألماً حين غرزت القطة مخالبها في ساقه. لكنه تجاهل ما أصابه وسألها:

ـ أكانت مباراة جيدة؟

ـ كسب الفريق المحلي.. أكنت تنتظرني؟

ـ بالطبع لا. كنت أراجع المحاضرات فغفوت. أترين ماذا ينتظر طلابي؟

ـ إذا كان الجميع متشوقين إلى محاضراتك تشوق جون فلن يلاحظوا شيئاً من الملل.

وانحنت تلتقط الملف عن الأرض.

ـ قد تكفيني إن كنت محظوظاً هذه المحاضرات اسبوعين. لكن عليَّ أن أعيد تنظيم محاضراتي جميعها.

ـ ولماذا تزعج نفسك إذا كنت لن تدرّس سوى فصل دراسي واحد؟

ـ وهل هذا تصرف نبيل يصدر عن استاذة المستقبل؟

هزت كتفيها صامتة، ثم سألت:

ـ هل تلقيت اتصالاً هاتفياً؟

ـ فليكن في قلبك رحمة.. لقد رُكّب الهاتف بعد ظهر اليوم. أنسيت الضجة التي افتعلتها في نهاية الأسبوع بسبب تركيبه؟

ـ نعم نسيت.. الهاتف بالنسبة لي هو صلة الوصل بالحياة.

- حسناً.. لم يرن جرسه ولو مرة. لعل الجميع يعرف أنهم لن يجدوك مساء السبت.. هل أنت محبوبة من الفتيات كما أنت محبوبة من الفتيان؟

- لدي الكثير من الأصدقاء من كلا الجنسين. وأنا مشهورة بحفلاتي المرتجلة.

- تبدو هذه فكرة رائعة. تفيدني مقابلة بعض الناس.

- لست سكرتيرة اجتماعية يا كايد.. ولا أدري ما نوع الموظفين الذين كانوا لديك في لندن...

- لم يكونوا من النوع الارتجالي.

- دعك من مناورتي. أمّا الهاتف فمن الأفضل ألا ترد عليه، فلو علمت العمة سارة أنني أعيش مع رجل، لسعت إلى هذا المنزل وبيدها قنبلة.

- ومن سيرد على الهاتف إذن؟ إذا اتصلت أوليڤيا ورددت أنت...

- أوليڤيا؟ أهذا اسم زوجتك؟ أما قلت إنك ستشرح لها الأمر، وإنها لا تهتم بما تفعل، ما دمت سعيداً.

- هناك حدود لهذا التصرف.

- آه. إنها ليست سيدة حرة كما تبدو، فالمرأة التي تنجب ثلاثة أطفال دفعة واحدة...

- أيزعجك مثل هذا؟

- لا يزعجني الأطفال.. فهم سيؤمنون لي استمرار وظيفتي بعد عشرين سنة. لكن يبدو لي أن زوجتك نفسها طفلة، وأنك كنت تستعجلها.

- اؤكد لك، لم نرد إنجاب ثلاثة توائم.

- بل أظنك اخترعتهم.

- هذه طريقة فريدة في وصف الأمر. لكن إذا كانت اللغة العادية صعبة عليك فماذا أفعل؟. متى تقيمين عادة حفلاتك؟

- مرة شهرياً. هذا كان في الماضي.

- عظيم. فهذا سيناسب عادتي في البيت المفتوح.

- ماذا؟

- إنه تطبيق عملي أقوم به منذ زمن بعيد... أدعو طلابي إلى جلسة نقاش مرة شهرياً.

- شهرياً.

- طبعاً، فأنا أرغب في معرفتهم عن كثب خارج القاعة.

فتنهدت تشيلسي:

- أظنني سأستغني عن الحفلات هذا الفصل.

- أتحاولين اخفائي عن أصدقائك؟

- من المستحيل اخفاء شيء اطلع عليه باد وسام.

- لكنك ترغبين في المحاولة، أليس كذلك تشيلسي؟

وضعت يديها على جنبيها وقالت متحدية:

- اعطني سبباً وحيداً يجعلني أدور بين أصدقائي أعرفهم إليك.

اسمع.. من الصعب على معلمة لغة القواعد أن تحصل على موعد مع شاب، فمعظم الشباب لا يدعونني إلى الخروج لأنهم يعتقدون أنني سأقوم بتصحيح نطقهم اللغوي حينما يُسمعونني شعرهم المداهن.

- لا يبدو أنك تلاقين صعوبة مع الرجال.

- ستزداد الإعاقة بوجودك الآن، وقد يمر الفصل كله دون أن أخرج مع أحد.

- اعتبري الأمر تحدياً. لماذا لم تدعي باد للدخول؟ إنه يعجبني.

ـ باد صديقي أنا، لا صديقك.
ـ ألا يُسمح له بأكثر من صديق واحد؟
حدقت فيه يائسة:
ـ لن أُجادلك، فمجادلة سياسي أمر غير مجدٍ.
ـ اهنئك، لقد تعلمت ذلك في أقل من يوم.. بينما استغرق أودري هذا حوالي الستة أيام.
ـ لكنك حين تزوجتها لم تكن سياسياً.. انتظر لحظة! قلت إن اسمها أوليڤيا...!
ـ أجل.. أوليڤيا أودري إڤرت. وأصدقاؤها ينادونها أ. أ ـ «أي أي».
ـ لعلها لا تلثغ كالأطفال.
ـ لست أدري.. سأسألها.
ـ بدأت أعتقد أن لا وجود للتوائم، كما لا وجود لأي أي... مهما كان اسمها ولا لإڤرت كذلك.
ـ لا تقولي هذا أمام التوائم فسيغضبون.
ـ سأهتم بهذا حين ألقاهم. فهل سيزورونك؟
ـ ليس في الوقت الحالي فدروسهم شاقة، وهم متفوقون.
ـ وهل ستزورهم؟
ـ أوه. لا. ليس قبل عطلة الربيع.
ـ كيف تغيب عنهم هذه المدة كلها؟
ـ عزيزتي لا تطلقي أحكامك جزافاً فأنا في غاية الشوق إليهم.
وقف ليتمطى قليلاً ثم قال:
ـ سأذهب للنوم... لا تجعليني أزعجك في الصباح.. فأنا أركض خمسة أميال قبل الفطور يومياً.
ـ لا مانع عندي البتة، ما دمت لا تركض في الشقة.

بذلت بعد بضع دقائق جهدها لتتسلل بصمت إلى غرفتها التي كانت القطة تجلس فيها على رف النافذة وقالت لها:
ـ سيكون أمامنا فصل بارد طويل.. لقد أعجبك أليس كذلك بوسي؟
وقفت أمام المرآة تسرح شعرها وتتمتم:
ـ الحقيقة أنني لم أستطع منع نفسي من الإعجاب به أيضاً.

* * *

٣ ـ قوانين الصباح

كانت عينا تشيلسي نصف مغمضتين وهي تشد حزام مبذلها مجتازة الدرج. أخرجت طعام القطة من الخزانة وملأت لها القصعة، ثم ذكرت نفسها بأن عليها شراء واحدة أكبر من هذه لئلا توقظها القطة دائماً، ثم لم تلبث أن شمت رائحة القهوة فقالت لنفسها:

ـ إن لوجود رجل في البيت فائدة، خاصة إذا كان يجيد صنع القهوة. وربما لن يكون الأمر سيئاً كما تتوهم فهو سيكون مشغول بمحاضراته وهي بدروسها ولا بدّ أن يعثر كايد بسرعة على أصدقاء فيمضي عندئذ أوقاته معهم فيذهب كل منهما في حال سبيله.

ملأت كوبها متنهدة ومتمنية لو يسير الحال هكذا على الأقل.

عليها في الواقع، أن تعترف أن تقاسم إيجار الشقة هو الذي سينقذها من الغرق.. فقد كانت تأمل أن يكفيها ما ادخرته من مال العمل الذي قامت به صيفاً. فقد كانت في كل موسم تعمل لدعم إيرادها الصغير الذي تركته لها أمها على شكل بوليصة تأمين على الحياة... كانت تود لو تتمتع في آخر سنة دراسية لها بالدرس بدل التركيز على العمل. لكن هذا الفصل الدراسي وما يرافقه من تدريب على التعليم كلفها أكثر مما كانت تتوقع، وعليها الآن أن تفتش عن وظيفة تشغل جزءاً من وقتها.

إنها وأخوها فنسنت محظوظان، فقد عملت أمهما في الجامعة

سنوات عدة. وبعد موتها مُنحت هي وأخوها منحة تعليمية مجانية ولولا هاتان المنحتان لما استطاع أي منهما الالتحاق بالجامعة أبداً، خاصة هذه الجامعة المرتفعة الأقساط.

بعد بضعة شهور تبدأ بكسب رزقها، فإذا وجدت وظيفة ستشرع بتأسيس حياة مستقرة لنفسها. أمّا بالنسبة لفنسنت وشارلوت، فإن الاستقرار لا يزال بعيداً سنوات سيواجهان خلالها أوقاتاً عسيرة من جرّاء العيش مع العمة سارة. وقد أحسنت هي صنعاً في رفض عرض شارلوت الكريم في السكن معها.

بما إنها تدفع نصف إيجار هذا البيت، فلربما سيفيض عنها بعض المال الذي ستستفيد منه في أشياء أخرى كالثياب التي تحتاجها، فإن كانت ستبدأ التدريب في الخريف القادم، فعليها أن تفكر في تجديد خزانة ثيابها، إنما لا بثياب فخمة طبعاً.

رن جرس الهاتف بحدة، فهبت من سباتها بوسي، أما تشيلسي فحدقت فيه ثلاث دقائق. أتجيب؟ فقد يكون المتصل في العاشرة من صباح يوم الأحد أيّاً كان. أخيراً التقطته... إذا كان المتكلم أوليفيا أو أودري أو أياً كان اسمها اللعين فهذه مشكلة كايد. لأنه ليس هنا ليرد بنفسه.

لكن المتكلم كان العمة سارة، فتنفست تشيلسي الصعداء لأنها التي ردت. نعم هي لا تأبه بما قد تفكر فيه العمة، لكن من المستحسن الحفاظ على السلام في العائلة.

ـ تشيلسي حبيبتي... لقد قالت شارلوت إنك أحببت شقتك الجديدة. فهل استقريت؟

ـ لا ما زلت أعمل على الاستقرار. كيف حصلت على رقم الهاتف؟

ـ لقد زودتني به تلك المرأة الطيبة في شركة الهلتف... إن

الخدمة التي يقدمونها هناك ممتازة، فأنت ما كنت لتذكري الرقم قبل أسبوع.

ـ كنت مشغولة يا عمتي.

ـ أوه؟ مع من الشبان كنت ليلة أمس؟

هذا بالتأكيد ليس شأن عمتها، لكن تشيلسي تعرف أن بال هذه المرأة لن يهدأ قبل أن تعرف الرد.

ـ اصطحبني باد إلى مبارة تنس في الجامعة.

ـ أوه أجل.. إنه شاب محبوب، مع إنه يبدو قليل الطموح.

ـ بل هو طموح، لكنه لا يهتم بما تهتمين به أنت.

ـ ربما أنت على حق فالشبان اليوم يهتمون بأشياء لم يسمع بها أحد من قبل... ظننت أنك تصادقت مع شخص جديد.. فأنت هنا منذ بضعة أيام، لكن شارلوت قالت إنه ليس لديها فكرة.

ـ لا شيء جديد يا عمتي.

تابعت العمة تكمل الحديث:

ـ سيتزوج على الأقل فنسنت وشارلوت قريباً مع انهما لا يهتمان بالمراسم التي تقام قبل الزواج...

غرقت تشيلسي في أفكارها حتى نسيت عمتها وما تقوله، وكانت ما تزال على حالها حتى بعد أن أقفلت العمة الخط... إن نية العمة طيبة، لكنها لم تستطع بعد أن تفهم بأن تشيلسي شبت وغدت مسؤولة عن نفسها.

رن جرس الهاتف ثانية.. فالتقطت تشيلسي السماعة هذه المرة دون تردد:

ـ آلو؟

ساد الصمت من الجهة الأخرى، فكررت النداء حتى جاءها الرد أخيراً منخفضاً:

ـ هل كايد إفرت هنا؟

تباً لفعالها! وحاولت تقليد صوت سكرتيرة جديدة رصينة.

ـ ليس هنا في الوقت الحاضر.. هل أنقل له رسالة؟

أصبح الصوت أقوى الآن، وكأن المتكلمة استردت رباطة جأشها:

ـ قولي له السيدة إفرت اتصلت.

كانت متأكدة بأنه يكذب بشأن أوليفيا أو أودري وبشأن التوائم الثلاثة.. وكم ودت لو كان يكذب.. تنهدت وهي تفكر في أن عليه الآن أن يقدم تفسيراً.

دخل كايد من الباب الخلفي، أحمرالوجه برداً، يرتدي بذلة ركض بنية اللون، عيناه تلمعان وشعره أشعث. وقال بحبور:

ـ أرى أن الفتنة النائمة استيقظت.. هل الفطور جاهز؟

ـ أنا لا أتناول الفطور أبداً.

ـ لعلك لم تشربي القهوة كلها.

ـ شربت كوبين وبقي منها الكثير.

ـ لن أعتمد على هذا فقط إذ أحتاج عادة ابريقاً كاملاً حتى أشعر بالدفء بعد خمسة أميال من الهرولة.

ـ بمناسبة الحديث عن وجودك خارجاً أقول إن زوجتك اتصلت.

ـ طلبت منك ألا تجيبي عن المكالمات.

ـ كنا سنواجه مشكلة أكبر لو كنت أنت هنا وأجبت عن المخابرة الأولى التي قامت بها عمتي سارة.

ـ وهل غضبت بسبب اتفاقنا؟

ـ كانت ستغضب لو عرفت.

ـ سأدّعي أنني صديقك الجديد.

وجذب الهاتف عن الطاولة فقالت:

ـ قد ينفع هذا نهاراً لكن ماذا ستفعل حين تتصل بنا في الثالثة صباحاً؟

ـ نزع الهاتف من المقبس. أكره أن أقطع هذا الحديث، لكن من الأفضل أن أتصل بأودري حالاً.

ـ ألا تعرف أنك تركض صباحاً؟

ـ طبعاً.. لكنني عادة أنتهي منه في الثامنة. ما رأيك لو قلت لها إنني ذهبت إلى الكنيسة...؟

ردت بحزم:

ـ لا.

لوّح بيده يصمتها، ثم قال في السماعة:

ـ مرحباً جورج. هل السيدة إفرت هنا أرجوك؟

تمتمت تشيلسي:

ـ جورج هو أحد الأولاد؟

وضع يده فوق السماعة:

ـ إنه الأوسط وهو رسمي جداً. لا يخاطب أمه إلا بالسيدة إفرت إذ يعتقد أن من العار مناداتها «أمي»... مرحباً أودري. آسف، كنت خارجاً. أجل أعرف أنك قلت بأنك ستتصلين.

مد يده إلى فنجان قهوته، فسارعت تشيلسي تسكب له بعضها، وأشارت إلى السكر والحليب فهز رأسه رافضاً. كان يصغي باهتمام وجبهته متغضنة:

ـ أنا مصدوم، كيف تظنين بي هذا؟ آه.. فهمت.. حسناً. الأخبار تتناقل بسرعة أليس كذلك؟

أعلنت تشيلسي ساخطة:

ـ الإصغاء إلى الحديث من جانب واحد يبعث إلى الجنون...

ووقفت متجهة إلى غرفة الجلوس فسمعته وهي تخرج من الباب يقول مبتسماً:

ـ لا.. ليست نورما من رد على الهاتف.. أيجعلك هذا تشعرين بالتحسن؟

دخل كايد عليها بعد دقائق قائلاً:

ـ أودري غاضبة باعتدال.

ـ اعتدال؟ أهذا ما تسمي الغضب عادة؟

ـ رأيتها أسوأ حالاً.

ـ لو كانت أقرب إليك لقتلتك، وربما قتلت نورما وقتلتني كذلك!.

ـ لو كانت أقرب لقلقت... لكن الأطباء يعتقدون أنها ما دامت تتجرع دواءها بانتظام، فلن تسمع تلك الأصوات الغريبة أكثر من ثلاث أو أربع مرات يومياً.

تنفست تشيلسي عميقاً، فكل ما تسمعه خداع ليس فيه ما يدفعها إلى الانزعاج بل أن كل ما تسمعه خيال بخيال.

لفت روبها حول جسدها بشدة، ثم أمسكت كوب القهوة بين يديها. فربما كايد هو من يسمع تلك الأصوات الغريبة وما عليها إلا أن تتحرى الأمر.. فلماذا مثلاً خسر تلك الانتخابات؟

جذبتها رائحة اللحم المقلي والبيض بعد قليل إلى المطبخ. فرفع رأسه عن قطعة الزبدة التي كان يضع منها فوق المقلاة مبتسماً فتجاهلته ثم شغلت نفسها بملء كوبها وجلست على الطاولة.

ـ ألا يجب أن نضع بعض القوانين لهذه الشقة؟

ـ أعتقد هذا. أنا مرن جداً. لكن هناك بضعة أشياء أعارضها، فتجاهل وجود شريك في المنزل والغزل في غرفة الجلوس منها.

فغرت تشيلسي فاها ذهولاً، ثم استفاقت:

ـ أنا لا أعبث في غرفة الجلوس.

ـ جيد... على الضيوف الحميمين أن يدخلوا إذن غرفة النوم.

ـ انتظر لحظة من فضلك! ما هو تعريفك للضيف الحميم؟ فأنا لن أدخل كل رجل ادعوه إلى غرفة نومي.

ـ الضيف الحميم هو الذي تزعج تصرفاته الحاضرين أفهمت؟

ـ لكنني لا أستقبل أحداً في غرفة نومي.

وضع كايد الملعقة من يده وأسند نفسه إلى رف المغسلة.

ـ أما زلت بريئة طاهرة يا تشيلسي؟

حدقت فيه ساخطة:

ـ كيف تحشر أنفك في ما لا يعنيك؟

ـ أريد أن أعرف فقط ما عليّ توقعه من زميلة السكن... فإذا كنت سأصطدم برجل آخر في الحمام، فعليّ أن أعرف سلفاً، إذ من حسن الأخلاق أن تتركي لي مذكرة أو شيئاً ما.

وقفت تشيلسي تقول متمسكة بكبرياء:

ـ يبدو أن لا جدوى من مناقشتك.

هز كايد كتفيه غير مكترث ثم جذب قرص البيض المقلي إلى صحنه قائلاً:

ـ أنا أسمّي عادة الأشياء بأسمائها.

سمعت سيارة تقف أمام الباب الخلفي، فنظرت من النافذة وقالت متأوهة:

ـ إنه باد.

نظر كايد إلى ساعته:

ـ بكّر في المجيء قليلاً! نسيت أن أقول لك إنه سيشاهد مباراة كرة القدم معي.

مررت يدها فوق شعرها وهي تتجه إلى الدرج:

ـ أخبرني هذا.

فبدت عليه الجدية:

ـ لماذا تبتعدين عن طريقه هكذا؟

توقفت على الدرجة الثانية:

ـ لا أستطيع تركه يراني هكذا.

رفع قطعة اللحم من المقلاة وانتظر لتجف قليلاً من الزبدة وقال:

ـ أكره أن أكون الشخص الذي سيقول لك هذا تشيلسي.. لكنك كنت هكذا طوال الصباح ولم أصرخ فزعاً منك أو أهرب، ولا هددت بمهاجمتك حتى...

نظرت إلى روبها وتعجبت لماذا لم تفكر في هذا ولماذا لم يُشعرها وجوده بالاضطراب. فقالت له ببرود.

ـ أنا لا أعتبرك موجوداً.

ـ أما باد فنعم. مع إنك لم تتمادي كثيراً في علاقتك معه، وإلا لما مانعت أن يراك بروب الحمام... هل أنت في الواقع طاهرة؟

ـ أعتقد أنك لا تؤمن بوجود مثيلاتي في مجتمع جامعي.

هز كتفيه دافعاً أنف بوسي عن صحن اللحم:

ـ أعتقد أن زميل السكن يجب أن يعرف هذه الأشياء عن زميله... فهذا يمنع الكثير من قلة الراحة. طبعاً هناك سنّ معينة للحفاظ على عذريتك.

وفتح الباب الخلفي:

ـ... صباح الخير باد.

انسحبت تشيلسي برشاقة قدر المستطاع إلى غرفتها ثم دخلت الحمام فاستحمت ممضية وقتاً أكثر من المعتاد تحت المياه الساخنة

لتطفىء غضبها. وقد رأت أن التوتر أمام كايد سيجعله يتابع سخريته لكن لو تجاهلته، لقرّر ربما أن المزاح المزعج لا مرح فيه.

حين عادت إلى المطبخ كان باد يتناول الفطور أما كايد فكان يصب الزبدة في المقلاة. حين رآها سألها:

ـ هل أنت متأكدة من أنك لا تريدين الفطور تشيلسي؟

ـ قلت لك إنني لا أتناول الفطور أبداً.

وقال لها باد:

ـ ستفقدين وجبة عظيمة تشيس...

قلب كايد قرص البيض في المقلاة ببراعة خبير:

ـ لا مانع عندي أن تسمّي هذا غداء، فالوقت متأخر.

ـ لا شكراً. أنا ذاهبة إلى المكتبة فترة.

أجال النظر فيها من رأسها حتى أخمص قدميها:

ـ إذن أنت لا تودين طهو الطعام لعشاء الليلة.

ـ هذا أحد الأسباب... تمتعا بالمباراة.

ـ سأخبر كل معجب عن المكان الذي قصدته وأرجو ألا يتصل الكثيرون منهم.

صفعها الهواء البارد وهي تجتاز الطريق باتجاه الجامعة القابعة مهجورة تقريباً تحت غطاء الثلج... فقد ترك عدم بدء الدراسة المجال للطلبة بالاسترخاء في مراكز منامتهم أو شققهم للاحتفال بآخر يوم حرية لهم من عطلة الميلاد، وكان بعضهم فقط يبحث عن الكتب.

جاءها نداء بدا أنه من منتصف الحرم الجامعي:

ـ تشيلسي...!

نظرت حولها ثم راحت تلوح لجون الذي كان على مسافة غير

قريبة فأخذ يعدو نحوها حتى وصل لاهثاً.

ـ لِمَ الركض؟ فلست مستعجلة.

وفكرت تشيلسي وهي تنظر إلى وجهه بأنه رجل وسيم جداً.

ـ أذاهبة إلى المكتبة؟ (سألها).

ـ أجل. إنما لا للدرس بل لقراءة كتاب يبعد السأم عن نفسي.

ـ ما زال الأمر كذلك فلندفع معاً الملل بعيداً. حاولت الاتصال بك، لكن صديقتك قالت إنك انتقلت ولم تعرف بعد رقم هاتفك.

ـ شارلوت دائماً متأخرة. سأعطيك الرقم.

فرك جون يديه ونفخ فيهما:

ـ سيجمد الحبر في قلمك هنا.. فلنذهب إلى مكان دافىء. شقتك مثلاً؟

ـ لكنني أريد كتاباً.

فابتسم:

ـ أخالني قادراً على الصبر على جو المكتبة، سأقرأ جريدة الأحد.

المكتبة القرميدية السقف العالية النوافذ كانت صامتة صمت القبور... جالت تشيلسي الطرف في الكتب الجديدة حتى اختارت كتاباً لمؤلفها المفضل. حين انتهت من تسجيله توجهت إلى قسم القراءة حيث كان جون يجلس إلى الطاولة وقد فتح الجريدة أمامه.

شاهدت خلفه كتباً بينها كتاب يتحدث عن حياة المشاهير. حاولت إقناع نفسها بأن من غير المهم معرفة ما إذا كان كايد يكذب عليها، لكن يدها تحركت لا إرادياً لتلتقط الكتاب.. ثم جذبت كرسياً قبالة جون وجلست تقرأ حتى وصلت إلى مبتغاها: إقرت كايد برنارد. عضو في مجلس النواب، عن مقاطعة ساوث يوركشاير. من مواليد مدينة شفيلد. أعلمها حساب سريع أنه في

الثانية والثلاثين مما جعلها تتمتم لنفسها «صغير جداً على أن يكون له أولاد في الثانية عشرة» ابن برنارد وأودري إفرت. إذن، تلك أمه التي صعقت هذا الصباح حين سمعت صوت امرأة على هاتف ابنها.. وهذا يفسر الكثير.

وليس هذا فحسب فلا أولاد له بل لم يذكر الكتاب أنه تزوّج من قبل.

تجاهلت تشيلسي ما تبقى من معلومات عن الجامعة التي درس فيها، أو التي علّم فيها وعن حزبه السياسي وفلسفته. صفقت الكتاب وهي تتمتم بغيظ وحنق:

ـ ويتحدث عن السذاجة... لقد جعلني أؤمن بكل سخافاته!

التفت جون إليها رافع الحاجبين:

ـ أقلت لي شيئاً تشيلسي؟

ورفعت موظفة المكتبة رأسها عن كتاب تطالعه وقالت بدهشة:

ـ هل أساعدك آنسة.

لم تكن تشيلسي قد لاحظت وجود المرأة، فسارعت تقول:

ـ أوه. لا. شكراً. لا شيء البتة.

وأحست بالحرج.. فمن الجنون أن يكلّم المرء نفسه فكيف إذا فعل هذا في مكتبة عامة؟

نظرت إلى المقال الذي يقرأه جون فإذا عنوانه ما يلي:

«هل يلوح مجلس النواب بمستقبل لكايد إفرت؟».

لاحظ جون نظرتها فسألها:

ـ تريدين قراءة المقال؟

أرادت أن تجيب بأنها تعرف عن مستقبل هذا الرجل أكثر مما تعرف الجريدة.. لكنها اكتفت بأن هزّت رأسها سلباً، فدفع جون الجريدة جانباً:

ـ إنه رجل مذهل.

ـ أهو مثلك الأعلى؟ ترى ماذا فعل ليكسب احترامك هذا؟

ـ أنا لا أوافقه الرأي في مواقفه كلها، لكن هذا هو ما يجذبني إليه حقاً، إنه يقوم بأبحاثه ويقرر، ويلتزم برأيه ولا يتلاعب بموضوع أبداً، وهو يمارس السياسة حين يضطر، ولا يهمل المسائل الهامة.

ـ لماذا يتساءل الجميع عما سيفعل؟ فهو في كل الأحوال هزم في الانتخابات، فما شأننا وما سيفعله؟

ـ أنت لا تفهمين السياسة، فالرجل الذي فاز بمنصبه فاز صدفة، وهو الآن خائف مما سيحدث في الانتخابات التالية.

ـ وماذا تظنه فاعلاً؟

ـ لا أظنه باقياً خارج السياسة سنتين أخريين. وأراهن على عودته في الصيف القادم إلى نشاطه السياسي في لندن بمؤازرة أعضاء أقوياء من حزبه كباتريك تشامبرلين مثلاً... وقد يحظى بمنصب حكومي قبل نهاية السنة.

ـ لكنك لا تعتقد أنه سيترشح لمنصب محافظ المقاطعة؟

ـ لا أظن، فمن كتب هذا المقال لم يذكر الأمر. فوجوده في مثل هذا المنصب سيكون مضيعة للوقت... فالسلطة ليست في رئاسة المقاطعة... فلنذهب إلى اتحاد الطلاب، إذا كنت قد انتهيت من المكتبة...

* ابتسامته ساحرة جذابة. رجال مثل جون هارفس لا يتقدمون إلى حياة فتاة كل يوم. وذاب قلب تشيلسي ثم هزت رأسها مفكرة: «أظنني قد أذهب معك إلى أي مكان».

* * *

٤ ـ استغاثة في الليل

ألقت تشيلسي نظرة إلى ساعتها، فما زال أمامها نصف ساعة قبل بدء محاضرة التاريخ الحديث. في هذه اللحظة ودت لو يكون مرشد القاعة غير مشغول.

دفعت باب مكتب الدكتور ديكنسون الذي رفع رأسه إليها يتفرس فيها من فوق نظارته.

ـ تشيلسي ستانتون بشحمها ولحمها. ظننتك انتقلت إلى جامعة أخرى، أو قمت بعمل أحمق.

فابتسمت معترضة:

ـ لم يمض على وجودي اسبوعين دكتور.

ـ لكن، إن كنت ترغبين في التخرج هذا الربيع فعليك البدء بالدرس فوراً. . ادخلي. . ادخلي، واجلسي.

نظرت فيما حولها في مكتبه فوجدت أن كل مكان مسطّح فيه مليء بالكتب والملفات، والجرائد، فسألت:

ـ أين؟

ـ اوه. . ارمي أي شيء من هذه إلى الأرض.

وفعلت ما طلبه.

ـ وماذا لدينا لنبدأ به؟

ـ أريد وظيفة أولاً.

ـ أعتقد أنك ما زلت تنوين العمل؟

ـ وهل لي من خيار آخر؟

ـ ما زلت أعتقد أن عليك الانتظار حتى تنالي تصنيفاً مناسباً تشيلسي!

ـ ولماذا لم تقل لي منذ أربع سنوات أن معلم اللغة يحتاج إلى درجة جامعية؟ فات الأوان الآن.

دفع الدكتور الكرسي إلى الوراء ورفع قدميه إلى طرف الطاولة:

ـ لا يفوت الوقت أبداً. عليك أن تقرّبي الوقت بالتقدم.

ـ علاماتي غير مرضية أتذكر دكتور؟ سيضحكون عليّ.

ـ وهل جربت؟ لن تحتاجي إلا إلى سنة واحدة، عليك فيها تحصيل درجة جامعية ستفتح كل الطرق بالنسبة لك، حين تبحثين عن مركز مهم.

ـ لا أستطيع تحمل المصاريف دكتور.

ـ اسعي إلى منحة تعليمية. علمي الصف الأول في كلية اللغة واجني مصاريفك.

هزت تشيلسي رأسها رافضة، فتنهد ديكنسون:

ـ حسناً. . على الأقل فكري في الأمر بروية، وخذي هذا معك: إنه كتيب عن متطلبات التخصص الجامعي، فإن أمعنت النظر فيها تجدي أن الأمر ليس مستحيلاً.

ـ سأطلع عليها. لكنني لن أعد بشيء. يجب أن أذهب الآن. بمناسبة الحديث عن ذلك الصف الذي هو مشكلة بحد ذاته لماذا لم تسجلني فيه؟

ـ لم أفعل، لأنني وافقت منذ قليل عليه. أنسيت؟ أنت ترغبين فيه لأنه صف التاريخ الوحيد الذي يناسب برنامجك. أما التدريب

على الرقص الذي تقومين به فهو لحاجتك إلى التدريب الجسدي.

ـ لا أفهم أبداً كيف تتذكر المواعيد دكتور.

ـ أنا مضطر. فلو كتبتها على ورق، لفقدت تلك الورقة كما أنني أريد أن أعرف جودة ذاكرتي، ماذا عن ذاك الصف؟

ـ صف الرقص التمهيدي؟

ـ لا.. بل صف التاريخ المعاصر!

ـ أوه.. ذلك الصف. لا أعرف إن كان يستحق الوقت الذي سأقضيه فيه.

ـ من هو الأستاذ؟

ـ الدكتور بوربون. إنه جاف، ممل، وغليظ، أمّا طلاب الصف فمعظمهم من طلبة العلوم السياسية. قد يتمتعون بالمادة، لكنني أشعر أنني غريبة بينهم.

ـ حسناً. ستشعرين بتغيير سعيد اليوم.. فبوربون في المستشفى.

ـ ماذا أصابه؟

ـ استؤصلت منه ليلة أمس الزائدة الدودية، تمتعي بعطلتك تشيلسي.

توقفت أمام باب المكتب:

ـ اوه. دكتور. إذا سمعت بأن أحداً يحتاج إلى دروس خصوصية...

ـ أتريدين بضعة جنيهات؟

ـ بل الكثير منها.

ـ أترغبين في تصحيح كتاب؟

ـ تحقيق مخطوطة أم تصحيح كتاب حديث؟

ـ ربما إعادة كتابة ما كتبه المؤلف، لمّ أرَ الكتاب بعد.

ـ حسناً. سألقي نظرة عليه على الأقل.

ـ سأعطي إفرت اسمك إذن.

ـ من؟

ـ كايد إفرت. إنه عضو جديد في التدريس.

ـ أعرف هذا. لكن أيؤلف كتاباً؟

ـ أجل.. عن تجربته السياسية كما أظن، أو عن تحليل يتعلق بنساء لندن كما عرفهن...

وغمز لها مبتسماً، فتمتمت:

ـ اراهن أن هذا سيملأ له كتاباً.

ـ لكنه قد يسيء إلى طهارتك تشيلسي.

ـ إن كان فيه المال أجرب حظي. أراك لاحقاً دكتور.

جلست تشيلسي في مقعد خلفي في قاعة التدريس وبدأت تحضير صفحات جديدة لتنسخ المحاضرة عليها. حين سمعت جلبة من المقاعد الأمامية، التفتت فإذا كايد إفرت واقف أمام طاولة الأستاذ يتكيء عليها والهمهمة تسري بين الطلاب.

ـ أنا كايد ايفرت.. إنني اليوم ضيف أحل محل الدكتور بوربون. فعلى ما أعتقد أنكم تعلمون ما أصابه ورجل في مثل عمره يحتاج إثر عملية جراحية إلى المكوث في الفراش ستة أسابيع على الأقل.

بدأت وجوه الطلاب تعكس القلق، فالعديد منهم سيتخرجون عما قريب وهم بحاجة إلى هذه المادة.

ـ تعرض الإدارة عليكم خياران. بإمكانكم الاستغناء عن المادة دون عقوبة وبإمكانكم الانتقال إلى مادة أخرى أو البقاء في هذا الصف على أن أكون المحاضر فيه عوضاً عن استاذكم. ويجب أن أحذركم إلى أنني اختلف عنه.

رفعت طالبة يدها.

ـ وماذا عن الأبحاث؟ هل ستحذو حذوه؟

ـ لي طريقتي وهي طريقة تخفف عنكم وطأة قراءة كتب كثيرة.

فصاحت الطالبة:

ـ أتعني أننا اشترينا هذه الكتب سدى؟

ـ استخدميها كمسند للباب. أريد منكم للمحاضرة القادمة لائحة تتحدثون فيها عن عشرة مشاكل تعاني منها البلاد.. أراكم الثلاثاء. انصرفوا لو سمحتم.

لملمت تشيلسي الكتب بهدوء، ووقفت على مهل ثم خرجت إلى الشارع ووقفت أمام الحانوت الذي اشترت منه زجاجة حليب. إنها لا تحب المحاضرات المتأخرة، فهي تحب أن تصل إلى البيت قبل مغيب الشمس وقبل انحسار الدفء، ما ألذ الضوء والدفء والطهو على النار في فصل الشتاء. ستعد السباغتي الغنية بالصلصة وقد يصيبها الكرم فتدعو كايد للانضمام إليها وعندها: «قد يظن أنني أرشو الأستاذ».

أعظم عشر مشاكل تواجه الأمة؟ إنه يبالغ كثيراً في تحويل مادة الدكتور بوربون إلى مجموعة أبحاث. لكن يبدو أن هذا ما ينويه وهذا شأنه، وما سيقوم به أفضل بكثير من محاضرات الدكتور بوربون.

ناداها كايد من الطابق العلوي:

ـ أهذه أنت تشيلسي؟

ـ لا.. أنا مارلين مونرو، فماذا ستفعل؟

ـ ما كنت أعرف أنك في صف الدكتور بوربون.

ـ لو عرفت أن المرض سيطرق بابه لأخبرتك. هل لي أن أستخدم المطبخ؟

ـ وقف على ما ستفعلين فيه، على كلّ الشقة كلها الليلة تحت أمرك فأنا خارج.

ـ أوه..

أطل برأسه المعمم بالمنشفة.

ـ تبدين خائبة الأمل أم تراني أتوهم الأشياء؟

ـ كنت سأعد السباغتي بالصلصة التي ستزيد عما يحتاجه فرد واحد.

ـ تبدو فكرة حسنة وهي أفضل بكثير مما سأتناوله الليلة فأنا لا أحب اللوبياء كثيراً.

ـ إذا كنت لا تحبها...

ـ فلماذا أكلها؟ سؤال جيد عزيزتي.. إنها حفلة عشاء سياسية بعيدة كل البعد عن الاهتمام بالأطعمة.

ـ أولا يهتمون بما سيتناولونه؟

ـ نادراً، ولذلك تريني أحافظ على رشاقتي. فلا نتناول عادة إلا الدجاج المحمر أو الروستو البارد أو اللوبياء الخضراء التي طعمها أشبه بطعم العشب، ماذا أقول لك. انتظري حتى الغد لنعد السباغتي معاً. وأعدك أن أعد الصلصة بنفسي.

ـ لكنني أحب إعدادها بنفسي.

ابتسم لها، وداعب خدها بأصبعه:

ـ حسناً.. سأسلق السباغيتي. لست متطلباً.

وعاد إلى غرفته ثم سمعته يصيح بعد لحظات:

ـ أين ذهب جوربي؟

ارتدت بوسي إلى ما تحت الطاولة. فنظرت إليها تشيلسي بريبة ثم انحنت لتسترد الكتلة القاتمة التي تمضغها فحملت الجورب بين اصبعيها ودقت باب كايد.

ـ أتبحث عن هذا؟

ـ أين وجدته.. إنه مبلل.

ـ حسبته بوسي لعبة جديدة.

ـ سأقتل هذه القطة. امهليني قليلاً.

ورمى الجورب إلى الخزانة فقفزت القطة التي لحقت بسيدتها إلى الجورب ثانية. فقررت تشيلسي أن الانسحاب فكرة رائعة فقصدت غرفتها حيث ارتدت ملابس الرقص وبدأت تجرب بضع خطوات تعلمتها من المدرب.

لم تعرف كم من الوقت وقف في بابها يراقبها، لكن حين خطت خطوة خرقاء وفقدت توازنها كان هناك يتفرج عليها مبتسماً.. فقالت متحدية:

ـ إذا بدا لك الأمر سهلاً. فلماذا لا تجربه؟

ـ لم أكن أفكر في أنه سهل. بل في الواقع ما يضحكني أمراً آخر تماماً.

فانهارت على الأريكة:

ـ الخطوة الخرقاء؟ هذا ما كان سيقوله أستاذ الرقص.

ـ لا.. بل الخطوات المثيرة التي كنت أفكر فيها. لقد أثرت بثوبك هذا في تسارع نبضاتي، فأنا لست بعمر جدك.

لفت نفسها بمبذل شرقي فضحك، لكن كان في عينيه دفء وهو ينظر إلى كل جزء من حنايا جسدها الذي لم يستره المبذل. وسألها:

ـ هل سأجتاز الفحص؟

إنه بحاجة لقليل من الإحباط.. قالت ببرود.

ـ لا بأس بك.

ـ أهذا أفضل ما لديك، تشيس؟

ـ إلا شعر القطة.

ثم اقتربت منه ونزعت بوسي عن سترته المخملية، فرفع معطفه وارتداه قائلاً:

ـ إذا اتصلت أودري...

ـ سأقول لها إن ابنها خرج للعشاء.

ـ أكنت تقومين بالأبحاث عني؟ إذن إذا اتصلت نورما فقولي إنني قادم.

ـ عظيم.. إن لم أجد وظيفة في التعليم أبدأ بوظيفة أخرى هي الرد على المكالمات الهاتفية.

لكن نورما لم تتصل.. بل جون الذي دعاها إلى ملاقاته في اتحاد الطلبة.

ـ ما رأيك بالمجيء حالاً لنتباحث معاً ما طلبه منا إفرت في المحاضرة، لم يعجبني ما طلب.

ـ ظننته مثالك الأعلى.

ـ لقد قمت بتحضير كل ما طلبه بوربون ثم جاء إفرت فغيّر كل شيء..

ـ حسناً سأكون في الاتحاد بعد قليل.

ـ سأنتظرك.

أقبل جون اليها حين دخلت النادي، وطبع قبلة على وجنتها. لكنها لم تنزعج كعادتها، حين يقبلها أحد علناً.

وضع ذراعه على كتفيها بطريقة عفوية وقال:

ـ لدي فكرة أفضل من هذه فالمكان هنا مضجر. فلنذهب إلى منزلي لنشاهد فيلماً جديداً عرض على التلفاز.

ـ لم أتناول الطعام بعد.. وماذا عمّا سنتباحثه؟

ابتسم فلمعت أسنانه البيضاء.

ـ لدي طعام. أما مشاكل الأمة فتباحثها ونحن نشاهد الفيلم.

التقط معطفه وأخرج تشيلسي من الباب قبل أن تتاح لها فرصة الاحتجاج، فهي غير معتادة على زيارة رجل في شقته.

وجدت أن لا بأس بشقته، ففيها مطبخ صغير من طرف، وغرفة كبيرة في طرف آخر وهي مرتبة لتكون غرفة جلوس أما السرير المنفرد فطوي كأريكة. نصحها حين دخلت:

ـ اخلعي حذاءك، فالثلج العالق عليه سيبلل قدميك حين يذوب.

وفعلت ما قال، ثم أعطته معطفها قائلة:

ـ شقتك جذابة.

لوّح بيده في الغرفة.

ـ إنها صغيرة لكنها لي وحدي، وهذا يذكرني أن عليّ التقرب من زميلك في السكن.

يبدو هادئاً غير فضولي فهي لم تخبره بعد عن كايد.. لكن كيف عرف بأنها تشاطر السكن رجل؟ فسألته:

ـ زميلي في السكن؟

ـ لا بد أن لديك زميلاً يشاطرك السكن، وإلا لدعوتني إلى شقتك.

شغّل جون جهاز التلفزيون، وجلس على الأريكة يربت المقعد بقربه. فجلست تشيلسي على مضض وأصغت إليه وهو يردف.

ـ لقد تعبت من تعليق ربطة عنق على الباب كلما استقبلت فتاة في شقة مشتركة، فكان أن فتشت عن شقة خاصة حتى لا يغضب أحد إن اختارت السيدة قضاء الليل معي.

تمطى بكسل وألقى ذراعه على كتفيها، فتململت تحت ذراعه، وارتدت في المقعد لتشاهد الفيلم. ثم لم تلبث أن أنبت نفسها:

أنت جبانة، أنت عجوز متزمتة. يجب أن لا تنزعج من فكرة وجود نساء أخريات في حياة جون.. فلا أحد يعيش حياة الرهبنة هذه الأيام.

إلا أنت، ولكن إن كان من حولها يعبث بذيله فليس عليها أن تشعر بأنها لا تلائمهم فما زال هناك في مكان ما رجال يقدرون الاستقامة.. ويوماً ما ستلتقي رجلاً يجدر أن تثق به، رجلاً صادقاً تقبل العيش معه. لكنها حتى الآن لم تلتقِ به. كان الجميع بما فيهم كايد قد دهشوا لأنها ما تزال طاهرة ساذجة. ماذا قال لها كايد؟ آه نعم قال شيئاً عن وجود سن معين للسذاجة فابتسمت لأن له طريقة فريدة في تسمية الأشياء.

ـ ماذا يضحكك؟

ـ اوه، لا شيء.

فابتسم أيضاً لكنه لم يصر على معرفة ما يضحكها. بعد دقائق قال:

ـ الفيلم مقرف.

نهض ليغير المحطة ثم عاد ليجلس قربها:

ـ كيف ستتسلى إذن؟

ـ ماذا عن الوظيفة؟

ـ سندعها حتى الأسبوع المقبل.

وغمرها بين ذراعيه. فتمتعت بعناقه لكنه حين دفعها فوق الأريكة وضغط جسده عليها انتفضت باحتجاج فضحك وقال ممازحاً:

ـ ما بك تشيلسي؟ أهي اللعبة القديمة؟ تمانعين، فأجادلك لأقنعك؟ من الخطأ هدر الوقت. كنت تعلمين السبب الذي دفعني إلى دعوتك؟ فلنتوقف عن التلاعب ولنتمتع بوقتنا.

ـ ليس الأمر بلعبة وأنا لا أريده.

ـ بل تريدينه. آه تشيلسي المتعة رائعة! اطمئني لن اسيء الظن بك.

تسارعت في لحظات أسئلة كثيرة إلى رأسها، كانت يداه قد بدأتا العمل وحين انتبهت شهقت:

ـ توقف جون! لا أريد أن تفعل هذا!

تراجع للحظات، وضيق عينيه وفجأة لم يعد وسيماً.

ـ أتقصدين أنك لا ترغبين في الغزل.. أم أنك لا ترغبين فيّ؟

ـ كلاهما؟

رد بقساوة:

ـ فلنرَ... أنت تطلبين هذا تشيلسي. قبلت المجيء بإرادتك، وها أنت الآن تحاولين التراجع.

فهمت لأول مرة ما يجري، فهذا ليس غزلاً بل اغتصاب، لن يستطيع أي انسان انقاذها منه لأن لا أحد يعرف بوجودها هنا.

ـ جون.. أرجوك.. هذه تجربتي الأولى.. امهلني بضع دقائق للتفكير.

نظر اليها بريبة أما هي فحدّقت فيه مجبرة نفسها على الظهور بمظهر البريئة.

ـ يجب أن أستخدم الحمام.

فضحك وربت على وجنتها:

ـ حسناً يا صغيرة. سأنتظرك بشوق.

كان باب الحمام دون قفل، فوقفت تستند إلى المغسلة، أطول مدة ممكنة في محاولة منها إلى ابعاد الخوف عن نفسها وإلى التفكير السوي. ليتها تستطيع الخروج من الشقة والفرار بعد ذلك. لا يهمها معطفها وحذاؤها. فإن لم تجدهما تتركهما هناء هذا

إذا سنحت لها فرصة الهرب.

وانفتح الباب خلفها:

ـ ها حبيبتي.. لا يمكنني الانتظار طويلاً.

ـ لحظة من فضلك.

فتقدم نحوها ليمرر يديه إلى كتفيها ومنهما إلى جسدها. كانت ردة فعلها غريزية فقد ردّت مرفقها بكل ما أوتيت من قوة ثم ضربت صدره به فكان أن أفقدته هذه الضربة توازنه، فسقط أرضاً يصيح حانقاً:

ـ أيتها...

لم تنتظر سماع ما سيقول عن شخصيتها، بل طارت إلى خارج الشقة، مضيعة وقتاً ثميناً بتعثرها في فتح القفل الغريب عنها، ثم نزلت الشارع ووقع خطوّات جون يطن في أذنيها.

ضرب زمهرير كانون جسدها ضرباً. فتوقفت قليلاً لتحدد الاتجاه، إنها على بعد عشر وحدات سكنية عن شقتها دون معطف أو حذاء، ومفتاح شقتها. أهو في جيب معطفها يا ترى؟

مهما يكن فلا وقت لديها للبحث في هذا. جذبت باب حانة صغيرة معتمة تقع في زاوية الشارع ودخلت إليها فإذا بها أمام صف طويل من الرجال الواقفين قرب طاولة طويلة التفتوا إليها باستغراب.

ـ لا يمكنك الدخول دون حذاء (قال لها العامل).

صاحت به:

ـ اسمع. لو كنت أنتعل حذائي لما دخلت هذه الحانة أنا لا أريد إلا استخدام الهاتف.

ـ الهاتف على الجدار الخلفي.

ثم حوّل اهتمامه إلى زبائنه، وفتشت في جيوبها متجهمة.

عندما وجدت قطعتي نقود معدنية، حمدت الله ثم قصدت الهاتف القابع في غرفة صغيرة مغلقة، اتصلت منها.

ورن جرس الهاتف دون انقطاع مراراً حتى ظنت أنها لن تتلقى الرد لكنها سمعت أخيراً صوتاً حازماً يقول:

ـ مركز خدمات الرد على الهاتف، منزل تشيلسي ستانتون.

ـ كايد؟ أحتاج إلى العون. هل لك أن تأتي لتصطحبني؟

ـ ماذا حدث؟

ـ حاول من خرجت معه... أوه يا الهي.. لقد وصل إلى هنا.

ـ وأين «هنا» بالله عليك؟

أعطته العنوان وهي ترتعد:

ـ أسرع. أرجوك أسرع. آه واحضر معك حذاء.

ـ سأصل في دقيقتين أما أنت فاتصلي بالشرطة.

ـ لا أستطيع. ليس معي نقود أخرى.

ـ اتصلت بي أولاً؟ إنك تثقين بي حقاً، ادعي أنك اتصلت بالشرطة إذن.

توقف جون قليلاً أمام طاولة الحانة الرئيسية، ثم لم يلبث أن تقدم منها هادئاً مسترخياً، فتساءلت عما إذا كان قد قام بمثل هذا من قبل. رفعت قدميها إلى الباب مسندة ظهرها إلى حائط الغرفة الصغيرة لئلا ينفتح ثم وضعت السماعة على اذنها. فسألها بهدوء:

ـ تشيلسي. إياك أن تتصلي بالشرطة فلو فعلت لأخبرتهم الحقيقة. لقد جئت بإرادتك إلى الشقة، وشجعتني، وحين فعلت ما طلبته مني، ضربتني وهربت.

ولم ترد عليه. حين فتح كايد باب الحانة، كان جون ما يزال يقف أمامها يتوسل إليها أن تخرج لتتحدث إليه. كانت قد انتظرت

كايد دقيقتين أحست بأنهما سنتان.

استرخى وجه كايد حين لمحها. ثم تقدم إلى طاولة الشراب طالباً كأساً فكادت تصرخ يائسة: أخرجني من هنا أولاً... لكنه لم يلبث أن تقدم نحو غرفة الهاتف، وعلى وجهه تعبير الاهتمام المهذب.

ـ سيد هارفس؟ ظننت أنني رأيتك والآنسة ستانتون!

علقت تشيلسي السماعة وفتحت الباب وهي ترتجف. فلاحظ كايد أنها دون حذاء وأنها مبتلة القدمين.

ـ أأصبت بحادث آنسة ستانتون؟ سأكون سعيداً بإيصالك إلى منزلك.

كان التعبير في عينيه يطالبها بلعب لعبته، فقالت:

ـ شكراً لك دكتور إفرت. جون هل لي بحذائي ومعطفي من فضلك؟

ـ سيكون هذا لطفاً كبيراً منك سيد هارفس. لا تحملهما إلى الحانة لو سمحت. فسيارتي في الخارج.

ما أن وضع جون الكأس من يده وخرج حتى انهارت أرضاً. فأمسكها كايد ورفعها لتقف على قدميها، فقالت مرتجفة:

ـ سيحضرها. إنه خائف منك.

أمام باب الحانة نظر إلى قدميها الحافيتين ومنهما إلى سيارته المركونة التي ما زال محركها مشتغلاً.

ـ آسف، لم أفكر في هدر الوقت بالبحث عن حذائك.

وقبل أن تجيب حملها بين ذراعيه إلى سيارته، ووضعها في مقعد السائق المجاور، فمدت قدميها شاكرة الله على الهواء الساخن المتدفق من المكيف. حين قعد كايد أمام المقود قالت له بعبوس:

ـ ليتني ضربته.

ـ وماذا كنت ستحققين من الضرب؟ لماذا اتصلت بي بدل أخيك.

ـ ما كان فنسنت ليتركه حياً.

ـ أرى أن العنف عادة تسري في دم العائلة. والآن أخبريني ماذا حدث؟

سردت عليه الأحداث باختصار. فما أن انتهت حتى كان جون يدنو من السيارة حاملاً المعطف والحذاء، فخرج كايد من السيارة وتناولهما ثم أعطاهما إلى تشيلسي وبعد ذلك أقفل الباب الذي حجب عنها ما يدور من حديث بين الرجلين. لكنها لاحظت أن لهجة كايد لم تكن غاضبة.

تمت رحلة العودة إلى المنزل بصمت، وقالت حين أوقف السيارة أمام الباب الخلفي:

ـ ما زلت أتمنى لو ضربته!

ـ أمتعطشة للدماء إلى هذه الدرجة؟

ـ أتظن أن عليّ إقامة دعوى أو شيء من هذا القبيل؟

ـ لا.

ـ ولماذا؟ ألا تصدقني؟

ـ طبعاً.. كما أصدق أن أكثر الاغتصابات تحدث من جرّاء مواعيد عادية. ألم تذهبي إلى شقته بإرادتك؟ فكيف تثبتين ادعاءك للشرطة وأنت لم تغتصبي حتى. اللعنة تشيلسي.. أليس لديك عقل يفكر؟ حين أفكر في ما كان سيصيبك أرغب في ضربك بنفسي!

جرت الدموع بصمت على وجهها، فلف كايد ذراعه بلطف على كتفيها، ودفنت وجهها في كتفه باكية.

أدخلها إلى المنزل محمولة ثم أجلسها على الكرسي بجانبه

وحضنها لتبكي مخاوفها جميعها وألمها واذلالها كله. أخيراً استراحت صامتة بين ذراعيه، تحس بكنزته الناعمة على خدها وبرائحة التبغ في أنفها. مرر يده بلطف على شعرها قائلاً:

ـ لا تنامي عليّ هكذا تشيلسي.

فتثاءبت:

ـ لن أنام.. أنت لن تعتدي على فتاة أليس كذلك؟

ـ لا تستثني أي رجل.. يا الهي ما أشدّ سذاجتك.

ـ لكنك لن تفعل.

ـ حسناً.. لو حاولت، فلن تركضي هاربة مني إلى الشارع دون حذاء أو معطف.. ربما طريقة جون فظة. اصعدي إلى فوق واستحمي بماء ساخن وبعد ذلك ستشعرين بأنك أفضل حالاً.

فتحت عينيها ثم أغمضتهما ثانية:

ـ أنا مستريحة هكذا.

فقال مهدداً:

ـ إذا نمت، واضطررت إلى حملك، فقد تجدين نفسك في فراشي.

فانتفضت مذعورة وهبت من مكانها تقول بسخط:

ـ أنتم الرجال جميعكم سواء!

ـ هذا ما كنت أحاول قوله، عمت مساء، إن انتابك كابوس فلا تستدعيني.

* * *

٥ ـ بانتظار الصيف القادم

كانت تشيلسي تدندن نغماً جميلاً وهي تتجه إلى المنزل مساء، فبعد ليلة مريحة ونهار ممتع تتوق إلى استرداد روحها المرحة وتتطلع شوقاً إلى السباغيتي.

كانت صاحبة الدار في زاوية المنزل تفرغ سلة المهملات في المستوعبات، فحيت تشيلسي بحبور قائلة:

ـ وصل زوجك الوسيم إلى المنزل. لو كنت مكانك لما تركت رجلاً له طلته وجماله يغيب عن ناظري فالفتيات يفتشن عن رجل سيدة إفرت، خاصة طالبات الجامعات.

ـ لست السيدة إفرت بل الآنسة ستانتون.

بدت السيدة غير موافقة:

ـ أوه. أجل أخبرني زوجي، لكن من السخف استخدام اسم عائلتك، فاسم ابيك لا تختارينه، أما اسم زوجك فنعم. كما أن وجود اسمين على صندوق البريد يحيّر الإنسان. لن أفهم أبداً فتيات هذه الأيام.

كان كايد يقف في المطبخ يفرم البصل، رافعاً كميه، رامياً سترته على الكرسي، مرخياً ربطة عنقه. رفع رأسه إليها مبتسماً:

ـ لا أقوم بعملك لكنني أعتقد أن على الصلصة أن تحوي البصل.

رمت كتبها فوق الطاولة، ومعطفها نحو المشجب ورفست

حذاءها من قدميها. فسألها بريبة:

ـ ألن تتناول الساغيتي؟

ـ لقد تحدثت منذ برهة إلى صاحبة الدار.

ـ حسناً. لا تجعلي هذا الحديث يفسد عليك نهاية الأسبوع. إنها ليست أفضل متحدثة في الدنيا لكنها تحاول.

ـ لقد دعتني بالسيدة إفرت.

ـ اسم جميل مناسب. استخدمته والدتي سنوات طويلة..

ـ هل قلت لها إننا متزوجان؟

رفع يديه مستسلماً يدافع بذلك عن نفسه:

ـ لم أقل لها شيئاً تشيلسي!

ـ حسناً.. لقد فهمت الوضع على غير حقيقته.

ـ لعلك لم تبددي أوهامها. أكره أن أضطر إلى ترك هذا المنزل في منتصف الفصل.

اتسعت عيناها:

ـ تترك السكن؟

ـ أجل. تعرفين ما أعني. أخشى أن أطرد، وأصبح في الشارع. تشكو هي وزوجها دائماً من سوء أخلاق المستأجرين. لقد أخبرتني كل شيء في الأسبوع الماضي حين التقيتها في غرفة الغسيل.

أخرجت تشيلسي اللحم المفروم من البراد ووضعته على النار لتحمّره.

ـ هل سيرفضان تأجيرنا الشقة لو عرفا أننا غير متزوجين.

ـ هل أنت بطيئة الاستيعاب أم ماذا؟ سيرفضان بالطبع، فالمجتمع يرفض ترتيباً مثل ترتيبنا.

ـ لكننا لا نتشاطر الفراش.

وضع البصل المفروم في المقلاة.

ـ وكيف لهم أن يعرفوا.. أتريدين تغيير هذا الوضع؟

ـ ولِمَ تزعج نفسك ولديك نورما؟

ـ لكن ليست نورما هي التي تختال في هذا الشقة بثيابها ابتداء من الجينز الضيق إلى روب الحمام الذي لا يلفها كثيراً.

ـ تبدو متزعجاً من هذا كايد.

ـ لا.. بل مثبط العزم. أشعر بالتعاطف مع جون الذي ليس مضطراً لمشاهدتك في الصباح الباكر، وأنت تدعكين عينيك لتزع النوم منهما... ليتك تعلمين ما أشدّ الإثارة التي تظهرها هذه الحركة.

بدا جاداً في كلامه، لكن هذا بالطبع مستحيل. فقررت تجاهل كلامه:

ـ أتقلي هذا البصل بزبدتي؟

ـ طبعاً، فأنت من تطهين السباغيتي. لكنك لم تجيبي عن سؤالي.. ما رأيك لو نغير قليلاً في قواعد المنزل؟

ـ أنت من تتجنب سؤالي، أخبرني كيف عرفت صاحبة الدار بزواجنا المزعوم!

ـ ربما حين سألني زوجها عن الاسم الذي سيكتبه في سند الإيجار. أعطيته الاسمين، وربما حين نظر إليّ باستغراب قلت إنك تصرين على الاحتفاظ باسمك قائلاً له: «أنت تعرف شغف نساء هذه الأيام إلى الاستقلالية» ولعله استنتج من قولي...

بدأ الغضب يظهر عليها ببطء، فانحنى ليقبل طرف أنفها:

ـ تبدين ظريفة حين تغضبين. لكن حقاً تشيسن.. أكنت تفضلين خسارة الشقة؟ كنا سنفتش أسابيع أخرى حتى نجد مثلها.

ـ ثمة خلل في هذا المنطق كايد.. ما كنا سنفتش معاً عن

شقة.

ـ كنت سأراك في صف بوربون على كل الأحوال. فأنا كنت دائماً ضعيف الإرادة أمام الشقراوات.

ردت بعذوبة.

ـ والسمراوات... والحمراوات...

تظاهر بالحرج:

ـ أهذا قول لطيف يقال؟

ـ اللقاء في قاعات التدريس ليس بالشيء ذاته.

ـ وهذا صحيح. لن يكون مخيباً للأمل كما الحال هذه.

ـ وصاحبة الدار لن تعتقد أننا متزوجان. أنت لا تدري ما قد يفعله بي هذا.

ـ إن عشرات النسوة مستعدات للادعاء بأنهن السيدة إفرت أما أنت فلا وما ذلك إلا لأنك تخشين الزواج.

ـ وكيف لا أخشاه والزواج لا يعتمد إلا على المرأة التي تقوم بكل العطاء. لا أخالني أتزوج، فأنا قادرة على العناية بنفسي، وبغنى عن الرجل الذي قد أصبح مسؤولة عنه كذلك.

رن جرس الهاتف فقال كايد:

ـ أتريدين أن نقلب قطعة نقدية لنرى من يرد؟

ـ وعندها يكون قد انقطع الخط. ما رأيك لو تشرح لي كيف فسرّت وجودي لأمك؟

ـ حاولت فلم تبدي العجب.

التقطت الهاتف قائلة:

ـ أستطيع تصور السبب.

استمعت إلى المتحدثة فإذا هي شارلوت التي سارعت تخبرها عن ثوب العرس الذي لم تتمكن أمها من اصلاحه كما يجب، ثم

أكملت الحديث حتى طلبت من تشيلسي أن تساعدها في اصلاح الثوب الليلة فأجابت:

ـ طبعاً.. فليس لدي ما أفعله تعالي الليلة، فمن الخير لي أن أمضي سهرتي في تبادل القيل والقال ونحن نعمل على اصلاح الثوب.

ضحكت شارلوت:

ـ فنسنت يريد معرفة ما إذا كان كايد سيبقى في البيت أيضاً لأنه يريد أن يقابله.

غطت سماعة الهاتف بيدها وسألت كايد:

ـ هل ستبقى في المنزل الليلة؟ يبدو أنك قد نفذت إلى قلب عائلتي.

ـ إلى قلب من؟ إلى قلب شارلوت؟ من المؤسف أن تكون مخطوبة. نعم سأبقى في البيت.

ـ يقول الدكتور إفرت إنه سيبقى في المنزل. كونا هنا وقت العشاء فنحن نحضّر السباغيتي.

فصاحت شارلوت:

ـ هذا سيحضر فنسنت من مقلب الدنيا الآخر... سأراك بعد ساعة.

وضعت السماعة من يدها والتفتت إلى كايد:

ـ ليست شارلوت هي المعجبة بك في عائلتي بل أخي فنسنت.

ـ حسناً. أنا مضطر للقبول بالأمر.

بعد قليل من الانشغال في الطعام. سألته:

ـ هل أنت جادا أتجد شارلوت جذابة؟

عنت لها في خيالها صورتهما معاً. ففكرت لو يكون السبب في فسخ خطوبة شارلوت وفنسنت لقتلته.

ـ طبعاً أجدها جذابة. أوَتجديني أعمى؟ لكن قبل أن تطعنيني بالسكين، أعترف بأن اعجابي ليس من ذاك النوع الرومانسي.

حركت الصلصة مفكرة وسألت:

ـ أتقرأ أفكاري؟

ـ أحياناً... فالأمر ليس صعباً.. التزمي بتدريس اللغة عزيزتي واتركي المقامرة والسياسة لأصحابها، فوجهك شفاف عكس كل شيء فيك.

مرت لحظات أخرى كانا فيها صامتين حتى قال:

ـ أعتقد أننا لن نخبر فنسنت بأمر جون.

ـ من الأجدى لنا عدم اخباره.

هز كتفيه.

ـ هذا ليس شأنه على كل حال، لكن إذا ارتكبت شيئاً كهذا أخنقك بنفسي.

ـ معك حق. لقد حملت نفسي إلى الهاوية حملاً. ما كان عليّ الذهاب إلى شقته أصلاً.

ـ إن ما قام به كان طبيعياً. لكن كان عليه أن يفهم رسالتك قبل أن يخيفك.

ـ كنت مرتبكة.

ـ هذا منطقي، فهكذا هي العذراء عادة.

ـ لماذا تتصرف وكأن من العيب أن أكون عذراء؟

ـ ألم يعجبك جون؟

هزت رأسها وهي تحس بخيبة أمل:

ـ أكان عليّ مجاراته؟ لكنك قلت..

ـ ألا تفقهين؟ لقد قلت لك أسأت الاختيار فهو أناني مليء بالآفات التي منها طريقته في معاملة الفتيات.. فلو عرف كيف

يتصرف معك لما هربت منه.. لقد وددت لو تسنح لي فرصته تلك، غير إنني لسوء حظي سيد مهذب.

ضحكت تشيلسي رغماً عنها.

ـ إذن ماذا تقترح على عذراء مسكينة أن تفعل كايد؟

ـ أولاً الابتعاد عن الشبان العديمي الخبرة لأنهم خطرون، ثانياً النظر إلى الوضع من هذه الناحية تشيلسي! أنت لا تأتين إلى الكلية لتتعلمي من الطلبة بل من الأساتذة. فإذا أردت الجواب فاطرقي الباب الصحيح لتتعلمي من شخص يفهم الموضوع.

ـ أعرف.. أعرف! سأنشر اعلاناً في الصحف وأطلب فيه عروضاً.

ـ وعندها ستتعرضين إلى خطر أكبر من الخطر الذي قد تتعرضين إليه وأنت معي.

ـ يا لهذه الدعابة! أنت تمزح دون شك.

بدا عليه الغضب:

ـ من يوجه الإهانات الآن؟

احمّر وجهها حرجاً:

ـ لم أقصد هذا.. فأنا فقط..

ـ أنت فقط لا تعتبرين أن من يتجاوز الثلاثين قادر على تذكر ما هو الحب؟ أنت لم تحملي شيئاً مما قلته على محمل الجد.. أليس كذلك؟

ـ تقريباً.

ـ أنت فعلاً طفلة. اسمعي نصيحتي. عليك ألا تخلعي حذاءك وأنت مع رجل وذلك حتى تتمكني دائماً من الهرب.

نظرت إلى قدميها، ثم حرّكت أصابعها في جوربها السميك، وتطلعت بريبة إلى كايد فلمّا شاهد تحرّك أصابعها قال:

ـ أنت آمنة معي، فأصابع القدمين لا تثيرني. على أن تفهمي أنني لا أعد بشيء إذا ارتديت ذلك الروب مرة أخرى.

بدأت تشيلسي تحضر نفسها لإعداد فطيرة أخيها المفضلة.

بعد قليل قال لها:

ـ الدكتور ديكنسون قال إنك ستساعدينني في كتابي.

رفع ملعقة من الصلصة فشمها.

ـ قلت إنني سأطلع عليه، لأرى ما إذا كنت أريده أم لا. لماذا تؤلف كتاباً؟

ـ قال شخص شهير إن في داخل كل انسان كتاب.

ـ لكنه أضاف: إن أفضل مكان للمحافظة عليه هو داخل الإنسان نفسه. فلماذا تريد كتابته؟

ـ هذا ما يفعله جميع المشهورين عادة، وذلك حتى يبقى اسم هذا الشهير أمام عيون الناس، خاصة إذا أراد ترشيح نفسه لمنصب حكومي برئاسة الوزراء مثلاً.

ـ آه.. وهل تخطط للوصول إلى داونتغ ستريت؟

ـ لم يصل طموحي إلى هذا الحد بعد.

ـ لا أصدقك.. فأنت تخفي الأمر.. عمّ يتحدث الكتاب؟

ـ اقرئيه تعرفي.

ـ أنت تكتب إذن وليس الأمر بدعابة؟

ـ أكذبت عليك من قبل؟

رمت عجينة الفطيرة في القالب، ولعقت الملعقة دون تفكير.

ـ مراراً وتكراراً. حسناً... سأقرأ الكتاب. لكنني لا أعدك بالمساعدة.

نظر إليها متوسلاً:

ـ في الواقع أنا بحاجة لمساعدتك، فقد أتكلم يوماً بحاله أما

الكتابة فلست بارعاً فيها.

وضعت الفطيرة في الفرن.

ـ هل قمت بالأبحاث؟

ـ أبحاث خاصة.

ـ جيد.. فكتابة محاضرات جامعية لا تزعجني أمّا الأبحاث...

وهزت رأسها يائسة، فسأل:

ـ هل احضر طاولة؟

ـ إذا أردت أن تأكل.

ـ ظننتك لن تتابعي دراستك.

ـ اقنعني الدكتور ديكنسون بها. فقررت إن لم أجد وظيفة أن استقرض المال لأبقى.

ـ على أنفك لطخة شوكولا.

مد يده بالمنشفة ليمسح أنفها، فرفعت نظرها ونظرت إلى عينيه اللتين لم تكن قد اهتمت بهما من قبل. نعم هي تعرف أن عينيه تلمعان بخبث، لكنها لم تلحظ من قبل خطوط الضحك حولهما، كما لم تلاحظ أهدابه الرائعة السوداء أو طريقة انحناءة فمه التي تشير إلى أنه نادراً ما ينظر إلى شيء لا يسليه.

لكن من يتواعد مع نورما تشامبرلين لن ينظر أو يبالي بتشيلسي. فتلك امرأة جميلة لا يجرؤ أحد على أن يطلق عليها لقب طفلة.. ودون أن تدرك ما سيفعل، أحست برأسه يدنو منها وبأنفاسه حارة على وجهها. فقالت مضطربة:

ـ السباغيتي...

ـ لا أقوى إلا على تقبيلك تشيلسي. لا أريد إلا قبلة، صدقيني.

إن كان لا يريد إلا قبلة، فما الضير منها؟

لكن قبلته فعلت أشياء وأشياء بنبضات قلبها وتنفسها. فقد كانت شفتاه دافئتين رطبتين ولم يكن لجوجاً بل لم يكن يلف ذراعه حولها. ومع ذلك خفق قلبها إثارة. وما استطاعت أن تحرّر نفسها من هذا الاتصال الساحر.

أرجع رأسه إلى الوراء، فترنحت وهي تحاول استعادة توازنها. فسألها وقد رفع حاجبيه:

ـ حسناً.. ما رأيك؟

ـ كما ترى لم يسبق أن تلقيت عناقاً من خبير.

ـ لكنك مثيرة. متى شئت التمرن على العناق تجديني جاهزاً. وإذا أردت التحرر من مشكلة...

صاحت به مرتاعة:

ـ لن يحدث.

ـ هذا شأنك، ربما ترغبين في أن تصبحي معلمة عجوزاً. كوني حذرة في اختيارك.. سأذهب لأستحم.

بعد ذهابه إلى الحمام وقفت تفكر في ما جرى حتى طرق الباب فسارعت إليه دون تردد تفتحه لكنها فوجئت بنورما تشامبرلن، ترتدي معطفاً طويلاً من الفراء وتتزيا بالألماس الذي زينت به أذنيها. اعتلت وجه نورما الصدمة وهي ترى تشيلسي أمامها، مرتدية سروالاً قديماً وكنزة صفراء.

قالت نورما:

ـ أسأل عن كايد إفرت. هل يمكنك أن ترشديني إلى شقته؟

ابتعدت تشيلسي عن الباب.

ـ لقد وجدتها. ادخلي. سأخبره بوجودك.

ثم لامست قلبها روح شريرة.. فأضافت بلطف:

ـ إنه في الحمام.

بدا وكأن نورما على وشك الانهيار أرضاً لكنها رغم ذلك قطعت عتبة الباب، فقالت لها تشيلسي:

ـ اجلسي إذا شئت.

ولم تصل إلى أسفل الدرج حتى سمعت صراخاً من فوق:

ـ ماذا فعلت قطتك اللعينة بجواربي؟

وجلست نورما مصدومة، بينما قالت تشيلسي بخبث:

ـ انظر تحت السرير.. وبالمناسبة نورما جاءت لتراك.

ساد صمت مفاجيء فحاولت تشيلسي اخفاء ابتسامتها. هذا أفضل له فقد حذرته من المشاكل التي سيولدها هذا الترتيب.

قالت لنورما بلهجة من يفضي بسر:

ـ في الواقع... أنا طالبة عند كايد فالعلوم السياسية موضوع رائع.. ألا تظنين هذا؟ سنتناول طعام العشاء مع صديقين.

أصبح وجه نورما بارداً.

ـ إذا كنتما قد أعددتما شيئاً لهذه الأمسية...

وشدت المعطف حول نفسها وكأنها تحتمي بدرع قبل أن تقف، فهبت تشيلسي بدورها واقفة:

ـ اوه. أرجوك لا تذهبي فسيتكدر كثيراً إن لم يرك. أترغبين في فنجان قهوة؟ إنها جاهزة.

كان بوسع نورما الرفض، لكن تشيلسي كانت قد وضعت الفنجان أمامها قبل أن تتكلم. بعد ذلك ذاقت تشيلسي صلصة السباغيتي وزادت عليها بعض البهارات... فقالت نورما:

ـ تتصرفين وكأنك في بيتك.

ـ أنا أحب الطبخ.

كانت تعلم أنها تصب الزيت على النار، لكنها لم تستطع منع

نفسها بل استمرت في الصب بلهجة فاتنة:

ـ كايد طباخ رائع كذلك. أتعرفين هذا؟ إنه يحضر أروع فطور.

طقطقت الدرجات الخشبية تحت قدمي كايد وهو ينزل بسرعة:

ـ مرحباً نورما. أدفعك الفضول إلى زيارتي؟

قالت تشيلسي بحبور مصطنع:

ـ سأترككما وحدكما حرك الصلصة من حين لآخر، أرجوك كايد، ولا تنسى أن ضيفينا سيصلان بعد نصف ساعة...

ابتسمت وهي تنسحب إلى غرفة الجلوس التي استطاعت منها أن تسمع وتيرة صوت نورما ترتفع وتنخفض لكنها لم تفهم الكلمات.. فتحت كتابها متنهدة وودّت لو تسمع ما تقوله نورما!

غرقت في كتابها حتى لم تعد تلوي على شيء لذلك عندما دخل عليها كايد لم تشعر بوجوده إلا بعد أن تنحنح ورفعت رأسها وسألته:

ـ كيف جرى الأمر؟ هل هدأت من روعها!

ـ أعتقد أن عليّ قتلك الآن لأوفر على نفسي فيما بعد مصاعب كثيرة... لماذا بحق الله قلت لها كل هذا؟

ـ كل ماذا؟ أنت من زجّ نفسه في المشاكل: أين جواربي؟ بالله عليك كايد...

ـ لم أكن أعرف أنها هنا. اللعنة.

عادت إلى فتح كتابها من جديد:

ـ كنت أعلم أنك ستقع في المشاكل.

فانحنى فوقها مهدداً.

ـ لأنك قررت أن أقع في المشاكل.

جلست متكورة حول نفسها ثم قالت بحزم:

- لم أقل لها شيئاً غير صحيح.
- لا.. بل قلت إنك طالبة عندي.. وإذا كنت تظنين أن نورما تؤمن أنني أعلمك العلوم السياسية فقط فأنت مخطئة.
- لكن هذا صحيح، فما شأني إن لم تصدقني. أضف إلى هذا أنك تطوعت أن تعلمني أشياء أخرى، ولم تكن هذه فكرتي.
- أيتها السيدة الشابة، أنت بحاجة إلى من يلقنك درساً!
- وأعتقد أنك تود لو تكون أنت المعلم.
- يبدو أنني الوحيد الذي قد يجرؤ على هذا.
رفعت ذقنها متحدية تنظر إلى عينيه البنيتين اللامعتين:
- هيّا.. هيّا اكسر عنقي. أليس هذا ما تود فعله؟
أطبقت يده على عنقها، فقالت بصوت مخنوق:
- العنف ليس بعيداً عنك أيها الدكتور إفرت.
- لكنني لم أكن أفكر في خنقك.
وضع يديه على كتفيها ثم جذبها بحركة عنيفة لتقف فلمّا علقت قدماها بالغطاء علمت أن المقاومة معركة خاسرة... وما هي إلا لحظات حتى وجدت نفسها مطروحة أرضاً شبه مدثرة باللحاف الصغير وكايد مستلقٍ إلى جانبها. فسألته:
- وماذا ستفعل؟ ستدغدغني حتى أصيح طالبة الصفح؟
في صوتها يختبىء الضحك، فقال لها:
- إن كنت ستلعبين لعب الكبار، فعليك تلقي النتائج.
وتحرك بسرعة ولم تجد نفسها إلا مثبتة فوق الأرض. فقالت:
- عمي.. أستسلم.. أنا آسفة.
رد بنعومة:
- لقد تأخرت جداً.
أشاحت وجهها عنه، فحطّت شفتاه على أذنها.. لكن هذا لم

بعقه إذ اكتفى بمداعبة اذنها وطرف عنقها. فأحست بموجات لذيذة تجتاح جسدها كهجوم ساحق، يجب أن يتوقف هذا. بدأت تحتج لكنه أصمتها وأوقظ فيها قوى ومشاعر لم تتعرف إليها من قبل.
قالت محتجة:
- توقف!
- لماذا؟ أنا أتسلى وأنت كذلك...
فجأة سمعا طرقاً على الباب الخلفي فقالت تشيلسي:
- إنه فنسنت.
رفعت يديها إلى شعرها ترتبه فزعة، فقال بخشونة:
- اللعنة... لقد بدأ الأمر يعجبني ترى لو تجاهلناهما هل سيفهمان المغزى؟
ردت بصوت خفيض وكأنها تحاول بعث الطمأنينة إلى نفسها:
- لم يحدث شيء حقاً.
- لو تأخرا خمس دقائق يا عزيزتي لما سمعنا طرقاتهما وعلى ما أعتقد أن هذه الطريقة ليست طريقة مناسبة لكسب صديق.
- لن تجرؤ على قول هذا؟
ابتسم:
- لكنك قلت إن شيئاً لم يحدث.
وجذب نفسه من بين ذراعيها ليفتح الباب الذي دخلت منه شارلوت وحقيبتها محملة برقع الثلج.
- نأسف على التأخير.
فرد كايد وعيناه تلمعان بخبث دافىء:
- لم يزعجنا التأخير.
- تعطلت سيارة فنسنت من جديد.. لقد أحضرت لك الفستان الذي تريدين ارتداءه يوم زفافنا لكن دائرته السفلى لم تنتهِ ومع ذلك

تستطيعين تجربته الليلة.

ابتهجت تشيلسي:

ـ لن أستطيع الانتظار حتى أراه.

وقال فنسنت:

ـ وأنا لن أستطيع الانتظار حتى آكل. قدمي لنا المعكرونة أولاً، ثم خططا ما تشاءان.

فتنهدت شارلوت:

ـ لم أشاهد رجلاً مثله.

قالت تشيلسي لأخيها:

ـ اتفقنا.. إذا كنت تقبل بتنظيف الصحون.

ما أن انتهت الوجبة حتى تركت الفتاتان الرجلين يلتهمان فطيرة الشوكولا، ويتناقشان في موضوع الانتخابات البلدية حتى جذبهما لمعان الساتان الأبيض، في غرفة النوم.

دست شارلوت الفستان من فوق رأسها بعناية لئلا تخزها الدبابيس وقالت:

ـ لن أعيدها ثانية. إن خياطة ثوب العرس أمر جنوني.

ضحكت تشيلسي:

ـ لا يفترض بك أن تحتاجي إلى فستان آخر.

ـ صدقيني، لو احتجت لارتديت في المرة القادمة أي شيء من خزانتي... وإن رزقني الله ابنة لسمحت لها بالزاج خطيفة.

ـ ألن تخيطي لي فستان العرس؟

توقفت شارلوت في منتصف تحركها وقالت بذهول:

ـ وهل هذا اعلان عن شيء؟

ـ بالطبع لا... أعني حين أجد «السيد المناسب» سأحتاج إلى ما أرتديه.

أنهت شارلوت ارتداء الفستان وأدارت ظهرها إلى تشيلسي:

ـ السحاب خارج عن موضعه، والفستان يحتاج إلى تضييق قليل من الجانبين... ألا تظنين هذا؟

وبدأت تشيلسي تدبّس الفستان... فقالت شارلوت:

ـ ظننتك قلت إنك وجدته. كيف حال جون هذه الأيام؟ ومتى ستقابلينه؟ هل ستدعينه إلى حفلة زفافنا؟

سُرت تشيلسي لأن تشارلي غير قادرة على رؤية وجهها، فهي لم تستطع السيطرة على حمرة الخجل التي تعالت إلى وجهها:

ـ لا أحسبني أدعوه.

ـ أتعلمين أن العمة سارة اطلعت على أمركما، فقد فتح فنسنت فمه الكبير.

ـ أنا مذهولة لأنها لم تأتِ بعد لإنقاذي!

ـ اوه.. إنها لا تعرف أنك تعيشين معه.

ردت وفمها مليء بالدبابيس:

ـ ولكنني لا أعيش معه!

ـ أوه.. تعرفين ما أعني. لقد تبين إنها إحدى المعجبات به، وهي تموت شوقاً إلى مقابلته إذ تعتقد أنه سيكون أفضل محافظ للمقاطعة.

ـ مسكينة عمتي سارة.. حُكِم عليها دائماً بخيبة الأمل.

مدّت لها الفستان ثم سألت:

ـ كيف يبدو لك هذا؟

كان الوقت متأخراً حين غادر فنسنت وشارلوت... فشغلت تشيلسي نفسها في المطبخ متجنبة كايد الذي تمدد على الأريكة كعادته. على ركبته القطة وفي يده الغليون.

لكنها أخيراً دخلت غرفة الجلوس، فلا يمكنها الاستمرار

بالعيش معه وهي تقفز مذعورة كلما سمعت خطواته. يجب أن توقفه عند حده.

ـ أظن من الأجدى لنا ألا نكرر... ما حدث هذا المساء.

ـ أتشيرين إلى العناق وإلى مباراة المصارعة الصغيرة؟

هزت رأسها إيجاباً فأكمل:

ـ لكن في كلمة «الأجدى» هذه ما هو بعيد كل البعد عن المرح.

تقدم إلى النافذة ليتأمل تراكم الثلج في الشارع.. وقال:

ـ تشيلسي.. إننا في موقف حرج هنا.

ـ قد يكون حرجاً لك.. لكنني لم أكن متضايقة.

ـ هذه كلمة السر.. لم تكوني... فإن كنا لا نلاحظ وجود بعضنا بعضاً نستطيع النجاح. أما الآن فما عاد ينفع التظاهر.. أنا لم أكن أمزح معك تشيلسي، فأنا أجد صعوبة كلما رأيت تلك الحركات البهلوانية السخيفة...

ـ سأتدرب فقط في غرفتي.. أقسم لك.

ابتسم من الرعب الذي اجتاح صوتها.

ـ لكن الأمر لا يتعلق بالملابس فقط تشيس... إنه عطر شعرك، وطريقة ضحكك... وأنت لست محصنة أيضاً مني.

لن تستطيع انكار هذه الحقيقة، فقالت بصوت متردد:

ـ كايد... ماذا يحدث لنا؟

ـ لست واثقاً... كل ما أعرفه أن هذه فترة غير عادية من حياتنا.. ربما في الصيف القادم يذهب كلٌ منا في طريقه. لكن في الوقت الراهن نحن نسجل الوقت، بانتظار التغيير التالي في حياتنا.

ـ ألن تبقى في الجامعة؟

ـ على الأرجح.. لا. سأعود إلى لندن ربما. من يعلم؟ وأنت

ستنتقلين إلى حيث تقودك وظيفتك الأولى.

ـ هذا إذا حظيت بها.

ـ ستحظين بها فهذه فترة قاحلة غريبة في حياتنا.. ننتظر فيها قدوم الصيف، فلماذا لا نتمتع بالأشهر القليلة القادمة معاً؟

ـ أتعني أن نكون على علاقة؟

ـ لا يعجبني وصف الأمر بهذه الطريقة.. لكن أجل.. هذا ما أعنيه.

ردت بصوت متوتر:

ـ لا أريد علاقة معك كايد.

كانت في منتصف طريقها ترتقي الدرج حين سألها بكسل من الأسفل.

ـ لا تريدينها أم تخشينها؟ فكري فيها ملياً تشيلسي، فالرد يعني الكثير لي.

* * *

٦ ـ العب واهرب!

ـ هذه آخر الأكياس.

قال كايد هذا. ينتهد وهو يضع كيسين مملوءين بالأطعمة فوق طاولة المطبخ وأضاف:

ـ يبدو وكأننا ننتظر حصاراً ثلجياً ما تبقى من الشتاء.

ـ قد يحدث هذا وعندها لن أجد من يقلني إلى السوق المركزي لأشتري أغراضي أضف إلى هذا أنني أكره هذه الأماكن.

ـ بسبب الأسعار؟

ـ ليس لهذا فقط. فأنا أكره رؤية عجائز المجتمع الراقي اللواتي يبدون وكأنهن خرجن من الفراش لتوهن... شعر ملفوف بالدبابيس وقمصان معدة للركض. لقد رغبت دائماً في التقدم من إحداهن لأسألها عن السبب الذي يجعلها تلف شعرها بالدبابيس أو لأقول لها: هل يمكن أن تكون في مكان عام أكثر من هذا المكان الذي هي فيه؟

ـ هذه نقطة مهمة.

وبدأ يفرغ العلب من أحد الأكياس...

ـ لن أكون إحداهن أبداً. سيارة فخمة فيها الكلب والأطفال...

ـ ألا تحبين الأطفال؟

ـ أعتبرهم جزءاً من الحياة الزوجية. كنت في الواقع أتطلع شوقاً إلى مقابلة توائمك الثلاثة... من هو جورج على الأقل إن

لم يكن الولد الأوسط بين التوائم...

ـ إنه الساقي عند أمي...

ـ بالتأكيد.. كنت دائماً في الوسط الراقي.. كيف هي الحياة في ذلك الوسط الاجتماعي؟

ـ يمكنني أن أكتب كتاباً عن الموضوع.. وبالحديث عن الكتب، متى تبدئين بقراءة كتابي؟

ـ لقد بدأت، وما زلت أجد صعوبة في فهم خطك.

بدا حزيناً:

ـ يضجرك حتى النعاس.

ـ إنه أفضل من كوب حليب ساخن.. لا.. في الواقع هو ليس سيئاً إلى هذا الحد.

أنهت افراغ الكيس وطوته بترتيب ثم قالت:

ـ شكراً لأنك اصطحبتني إلى السوق المركزي كايد.

ـ مسرور أنا لأنني قمت بعمل مفيد لك، فليس من المنطقي أن نستمر في النمط القديم، هذا طعامك، وهذا طعامي.

ـ أيعني هذا أنك ستستمر في استخدام زبدتي؟

ـ اللعنة.. لقد نسيت شراء الزبدة.

ـ أنت لم تنسَ كايد!

فابتسم:

ـ لا.. لم أنسَ.. لكنني أملت ألا تلاحظي.

أخرج لفافة اللحم من الكيس وقال:

ـ سأشوي اللحم بنفسي الليلة إذا أحببت.

ـ هذا لحم لا ينضج بسرعة... فلماذا لا نستعيض عنه ببطاطا مسلوقة ولبن وقليل من الثوم وسلطة.

ـ ما دمت تكرهين اللحم، فلماذا لا نتناول الهامبرغر دائماً؟

بينما كان يضع علبة طعام في الخزانة، لامست ذراعه رأسها، فأحست بتوتر جسدها كله. . فقال بهدوء:

ـ أما زلت تتهربين مني تشيلسي؟

ومرر يده على شعرها الذهبي، المنسدل شلالاً على ظهرها، لكن، حين لم تستجب تنهد كايد وعاد إلى الطعام المكوّم على الطاولة، ومنذ تلك اللحظة عمل جاهداً على الابتعاد إلى الجانب المقابل من المطبخ.

قال كايد بعد حين بصوت هادىء:

ـ لم تردي على سؤالي تشيلسي. . يجب أن تتوقفي عن الاختباء من نفسك في يوم ما.

حاولت تجاهل سؤاله، لكن كلماته رنّت في اذنيها. . . وساد صمت طويل آخر، قال إثره:

ـ ألم أذكر لك أن هذه الليلة هي الليلة الأولى لبيتي المفتوح؟

أحست بالانزعاج، لكنها أقنعت نفسها بأنها شقته كذلك، فحاولت تمرير الأمر بخفة.

ـ ألهذا اشتريت هذا الطعام الجاهز كله؟

ـ طبعاً. . لكن لو شاهدت الطلاب، لعرفت أنهم يفضلون الطعام البيتي.

ـ أهذا تلميح؟

ـ لا شيء محدد. فطيرة بالشوكولا قد تنفع.

ـ أتطهو اللحم أنت؟

ـ أجل، إذا صنعت أنت الفطير. وقد يحضر المحافظ المستقبلي كذلك.

ـ اوه. . سأقضي أمسيتي في المكتبة إذن.

ـ أي نوع من المواطنين أنت. . كيف لك أن تدلي بصوتك إن

لم تتعرفي إلى المرشحين؟

ـ أنا لا أصوّت.

توقف عما يقوم به والتفت ببطء:

ـ ألا تصوتين؟ هذا سبب إضافي لبقائك الليلة.

ورن جرس الهاتف الذي انبعث منه صوت شارلوت وهي تسأل ما إذا كانت تود تناول الغداء برفقتها لأنها ستبقى في مختبر الكلية إلى ما بعد الواحدة فلم تستطع تشيلسي إلا أن تتصورها وهي محاطة بأنابيب الاختبار.

فضحكت واتفقت معها على اللقاء في مطعم المعجنات الجاهزة لكن شارلوت صمتت لتقول بعدئذ بقلق:

ـ تشيلسي. . . لدينا مشكلة!

وبدا اليأس في صوتها مما جعل تشيلسي تشهق:

ـ أتشاجرت مع فنسنت؟ هل ألغيتما الزفاف؟

ـ لم يحدث، لكن قد يحدث فيما بعد. أوه ما أغباني. لم أكن أعرف أنه سيأخذ الأمر على هذا المنحى. كان الأجدى لي لو تركت العمة تفعل ما تريد لكنني لم أتصور بأن الرجل قد يحضر. . .

ـ لحظة! ماذا فعلت العمة سارة! وعمن تتحدثين؟

ـ عن والدك. . . سألتني سارة إذا كان بالإمكان دعوته إلى حفلة الزفاف، فقلت لها أن لا بأس. والدك سيأتي لكن فنسنت غاضب مني.

صمتت تشيلسي متجهمة فهي خير من يفهم شعور فنسنت، فمنذ كانت في الثامنة وفنسنت في العاشرة انقطعت صلتهما بوالدهما الذي ما زال هجره لهما يؤلمهما وينغص عليهما عيشهما.

أخيراً ردت على شارلوت المترقبة:

ـ لقد حدث ما حدث شارلي، ولا نستطيع تغيير الأمر. لم أكن أعلم أن العمة سارة تعرف مكانه.

ردت بائسة:

ـ وهذا ما ظننته كذلك. فقد كانت تهدّد دوماً بأشياء لا تستطيع فعلها، واعتقدت أن هذا أحدها. لكن حين عرف فنسنت قال إنه لن يستقبل ذلك الرجل في حفلة زفافه، وإنه إذا جاء فلن يكون هناك زفاف.

ـ إنه غاضب حبيبتي.. وأحسبنا سنجد حلاً لهذه المعضلة سألقاك في المطعم عند الواحدة.

وضعت السماعة من يدها مفكرة، فتقدم كايد ليقدم لها فنجان قهوة:

ـ تبدين بحاجة إليه. أشاهدت شبحاً، أو شيء من هذا القبيل؟

ـ تقريباً.

ثم راحت تسرد عليه ما أخبرتها به شارلوت، فسأل دهشاً:

ـ ألم تعرفي شيئاً عنه منذ كنت في الثامنة؟

ـ لا تقل إن هذا شاذ، فهو يحدث أكثر مما تعتقد.

ـ أصدقك تشيلسي.

ـ فنسنت يلومه على موت والدتنا. كانت تشتغل في مكانين لتؤمن مصاريفنا ولتسدّد الدين الذي تركه على كاهلنا وقد أُصيبت بالإرهاق ثم وقع لها ذاك الحادث...

واغرورقت عيناها بالدموع، فأعطاها منديلاً ورقياً:

ـ ديون؟

ـ كان يقامر، ويعاقر الخمر. وقد تركنا لأنه كان يعتقد أنه إذا هجر البلاد تحسّن وضعه... ذهب إلى أرض العسل والحليب.. أميركا...

ـ أيعيش فيها الآن؟

ـ اعتقد.

ـ ربما تغير بعد هذه السنوات تشيلسي.

ـ وإن يكن فأنا لن أسمح لرجل غير مرغوب فيه أن يفسد زفاف فنسنت. إن هذا ما سأقوله له.

ـ لماذا لا تدعيني أستخبر عنه بطريقتي الخاصة! لدي بعض الأصدقاء في الخارجية.. متى سيجري الزفاف؟

ـ في نهاية آذار.

ـ أمامنا ستة أسابيع، فلماذا نزعج أنفسنا منذ الآن؟ لا تقفزي من فوق الصخرة قبل أن تعرفي ماذا وراءها.

ـ عظيم... تذكر هذه الجملة وقد تستخدمها في خطبة سياسية.

ـ يا لك من امرأة... اسمعي! سأتحدث إلى فنسنت الذي أحسبه سيصغي إلي أكثر مما يصغي إليك. اطلعيني فقط على ما قد ألقاه.

ـ ستستفيد من مركزك لتجد والدي؟

ـ سأحاول أولاً وبعد ذلك إن وجدت ما أريد قولي له ما شئت. سأتصل به هاتفياً على حسابي الخاص. اعطني اسمه وعنوانه وما تعرفينه عنه.

ـ سأعطيك إياه بعد أن أسأل عمتي سارة التي تعتبر من معجباتك.

ـ عظيم... سأبحث معها الوضع أولاً.

ـ عظيم...

دخلت مكتب الدكتور ديكنسون فوجدته يتحدث هاتفياً. حين انتهى سألها:

ـ ماذا تفعلين هنا تشيلسي.
ـ أردت اطلاعك على هذا.
أعطته المغلف الذي كان في يدها ففتحه ثم قال:
ـ عظيم، لقد آن الوقت. إن نيل درجة جامعية مهم لك، وأنا سعيد لتقدمك.
ـ لكن ما زال أمامي اجتياز الامتحان.
ـ ستجتازينه.
ـ يا لثقتك بي!
ـ كيف هي الأمور مع كتاب إفرت؟
ـ قرأته.. لكني لم أباشر العمل فيه. إنه ليس بسيء فله طريقة في التعبير مدهشة.
بدا حائراً:
ـ قال لي إفرت منذ لحظات إنك تعتبرين الكتاب مثار إشفاق!
ـ لم أقل هذا.. قلت إنه يُنعسني وهذا ليس...
ـ ألم تسمعي بكلمة اسمها اللباقة تشيلسي؟
ـ لكن كايد قال إنه يريد الحقيقة...
ـ همم... إذن لقد تقدمنا وبتنا نستخدم الأسماء الأولى.
ظهرت حمرة الحياء على وجهها لا إرادياً.
ـ حذرتك منه.
ـ صدقني دكتور.. فعلت.
مدت يدها وتناولت المغلف، فأبعدها عنه!
ـ أجميع الأوراق موقعة...؟
ـ طبعاً...
ـ إذن سأحملها بنفسي إلى مكتب التسجيل بعد الظهر... لأتأكد من أنك لن تغيري رأيك.

في غرفة المحاضرات في الثالثة ظهراً شاهدت جانباً من كايد لم تكن تتوقعه، فقد كان يحث الطلاب على المشاركة في النقاش. وما أذهلها أن الإناث في القاعة احتللن المقاعد الأمامية باستثنائها هي فقد قعدت في مكانها المعتاد في المؤخرة وفتحت دفتر ملاحظاتها. بعد دقائق من بدء المحاضرة قسّم النقاش النشيط القاعة إلى فرق كل فرقة تجادل لدعم وجهة نظرها وتأكيدها. أما كايد فجلس على طرف طاولته، يشارك بكلمة هنا وبكلمة هناك، لا يوافق على أي رأي، ولا ينفي أي شيء أو يعارضه، بل يحاول جهده حث النقاش ودفعه إلى الاستمرار. وهؤلاء الطلاب الذين كانوا يتثاءبون أثناء محاضرات الدكتور بوربون هم الآن منخرطون في نقاش حامي الوطيس، يجلسون على أطراف مقاعدهم متوترين.
أخيراً أعلن توقف النقاش:
ـ لقد انتهى الوقت... سنتابع نقاشنا يوم الخميس. فتعالوا منحضرين لدعم جدالكم بالوقائع... وفكروا ملياً في المشكلة التي تودون دراستها بعمق. أما التعليمات الكافية فسأذكرها لكم في الأسبوع المقبل.
بدأ الطلاب يحتجون آسفين على انتهاء النقاش، لكنهم بدأوا بعد ذلك يغادرون فقال لهم كايد:
ـ دعوني أرى لائحة كل منكم... دعوها عند الباب قبل خروجكم. آنسة ستانتون، بما أنك تجلسين في آخر القاعة أطلب منك جمع الأوراق حين تصلين إليها.
تمتمت مخاطبة:
ـ سأجلس في المقاعد الأمامية من الآن فصاعداً.
تقدم جون منها:
ـ ماذا لدى إفرت ضدك.

تجاهلته تشيلسي وهي تحاول ترتيب الأوراق التي كانت تُرمى إلى يديها من كل حدب وصوب من الطلاب المستعجلين للخروج، وأضاف جون:

ـ إنه لا يركز عادة على أحد كما يفعل معك.

ـ ربما يجب ألا يحضر محاضراته خريجو الأدب الانكليزي.

دنا كايد من خلفهما وقال:

ـ بل على العكس إن وجودك يضفي على القاعة جواً فريداً، أريد أن أعطيك جزءاً آخر من الكتاب تشيلسي هل لك أن تمري بمكتبي، أم تراك في شوق للذهاب إلى المنزل؟

فالتفتت إلى جون:

ـ أراك فيما بعد جون.

وراقبه كايد يغادر القاعة ثم التفت إليها:

ـ إذن لقد تواعدت معه مجدداً.

ردت عليه متوترة:

ـ وما شأنك لو فعلت؟

رفع حاجبيه دهشة:

ـ لقد غدا شأني منذ أن اتصلت بي طالبة المساعدة.

لكن تشيلسي أحست أنها تجاوزت حد التعقل.

ـ سأتواعد مع من أشاء، متى أشاء... أنت لا تملكني!

ـ لم أقل قط أنني أود امتلاكك. ولن يكون هناك من هو أسعد مني حين يعود بوربون إلى طلابه ليرفع عن كاهلي طالبة مثلك.

ـ لماذا؟

ـ لأنك تشغلين بالي وتلهينني كثيراً! إذ تدور في رأسي أفكار لا تلائم قاعة المحاضرات أبداً.

ـ اعطني فكرة منها على سبيل المثال.

ـ مثلاً حين أراك في القاعة أشعر برغبة عارمة إلى معانقتك وأخشى أن يسألني أحدهم عن أهم مشكلة من المشاكل العشرة لأنك ستكونين أنت المشكلة الأولى.

ـ وهل يجب أن أعتبر هذا اطراء؟

لكنه كان قد غادر الغرفة متوجهاً إلى مكتبه.

فكرت في تجاهل طلبه والتوجه رأساً إلى البيت. لكنها تحمل أوراقه وليس أمامها إلا اللحاق به، وقد قررت أن تضعها على الطاولة ثم تخرج دون أن تتفوه بكلمة.

وصلت إلى باب مكتبه غير انها صعقت حين سمعت صوتاً من الداخل يقول:

ـ ماذا تقول لي أودري؟ إنها متكدرة من العيش مع عاهرة.

يا الهي.. هذا ما كان ينقصها.. وتابع الصوت:

ـ فكرت في المجيء بنفسي لأكتشف الأمر. ترى أكانت أمك تبالغ من جديد؟

ـ لا أستطيع وصف الوضع بهذه الطريقة.

ـ إذن هذا صحيح؟

ـ أعتقد أن لديك أكثر من سبب دفعك إلى المجيء. فلست مراهقاً كما تعرف...

ـ صحيح.. ليس هذا هو السبب الوحيد.. ومع أن تصرفك أكثر من كافٍ يا كايد.. بالله عليك ألا تعلم أن المعارضة ستستغل الوضع الأخلاقي لتحطيمك في الحملة القادمة يا بنيّ!

بنيّ؟ وضعت تشيلسي يديها على عينيها، لقد سمعت عن برنارد إفرت ما يجعلها تعرف أنه رجل لا يعرف الرحمة. أرادت أن تهرب، لكن كومة الأوراق كانت ما تزال في يدها. وسمعت كايد يدافع عن نفسه:

ـ أشك في هذا.. سيكونون مشغولين في شرح أسباب تصرفاتهم في الإدارة، ولن يتمكنوا من رمي الوحل عليّ بسبب شؤوني الخاصة.

ـ كايد.. هذا ليس شأناً عابراً. تقول أمك إنك اتفقت مع هذه على أن تدير لك منزلك.

ـ فلنتفاهم على هذا الموضوع أولاً. فأنا لا أحسبك منزعجاً من هذه العلاقة.. أليس كذلك؟

ـ طبعاً، تمتع بها قدر ما تشاء. لكن كن كتوماً... وحذار أن تعدها بما قد تمني النفس به.. أنت تعرف كيف تلعب اللعبة.

ـ بكل تأكيد أعرف. علمتني الموضوع بدقة يا أبي.

ـ وتعرف ما أتوقعه أنا وأمك. لماذا لا تتزوج كايد؟

ـ فكرت في الموضوع، فلم تعجبني الفكرة.

* * *

حين وصلت إلى الشقة كانت تشتعل غضباً. رمت الأوراق على طاولة كايد في زاوية غرفة الجلوس، وصعدت طلباً للاستحمام.

بعد نصف ساعة دق باب غرفة نومها:

ـ لماذا لم تمري بي في المكتب؟ كنت أنتظرك.

تريثت بعض الوقت قبل أن ترد:

ـ مررت بك لكنك كنت غارقاً في محادثة هامة. فما كان مني إلا أن حملت أوراقك الثمينة معي إلى البيت، هل شرحت لأبيك أن هناك فرقاً بين أن يتشاطر الإنسان بيتاً مع امرأة وبين أن يتشاطر معها الفراش.

ـ لم أهتم بهذا.. ما كان ليفهم.

ـ حقاً؟ بدا لي أنكما تفهمان بعضكما بعضاً خير فهم. أشعر

بالأسى على أمك في الواقع.

ـ لا تأسي أو تأسفي فهي راضية كل الرضى، وهما يتقابلان بين حين وآخر. إن علاقتهما الآن أفضل مما كانت عليه إثر الانفجار مباشرة.

ـ أمر هائل. ما عرفت أنهما مطلقان.

ـ ليسا مطلقين.. كنت في الثانية عشرة حين وجدته في الفراش مع خادمة الغرف... ومنذ ذلك الحين وهما يعيشان منفصلين.

ـ ولماذا لم تطلب الطلاق؟

ـ كوني عاقلة.. لديها ما تريده وأكثر. القصر والمنزل الصيفي والسيارة الرولز والخدم والحسابات المصرفية. وكل منهما يفعل ما يشاء.

ـ تبدو بارد الأعصاب أمام هذا الترتيب.

ـ لأنني أحبهما معاً. ولا أعبأ بطريقة عيشهما وتجدينني لا أناصر طرفاً على آخر.

ـ لكن حياتهما لا تنسجم مع ما أتصوره عن الزواج الناجح!

ـ ليس والداك بأفضل حالاً... ومسألة «إلى أن يفرقنا الموت» خرافة كقصة حوريات البحر والحصان ذي القرن.

ـ ألست منزعجاً لأن والدك غير موافق على ترتيبات حياتك؟

ـ ولماذا أنزعج؟ هو لا يريد مني إلا التكتم؟

ـ إذا كان الأمر مهم لأبيك فلماذا لم يخض عالم السياسة؟

ـ كان مشغولاً بجمع المال فتبوأت أنا عالم السياسة مكانه.

ـ لكن المال لا يحل محل المكانة السياسية المرموقة.

ـ اوه.. لديه طموحاته.. إنه يريد أن يصبح سفيراً. أظن أنني سأحصل على فاتورته يوم عيد تنصيب الملكة. والآن سأدخل

لأستحم.. هل تنضمين إلي؟ ثمة صابون يكفي اثنين. سأكون مسروراً بفرك ظهرك.

احمّر وجهها:

ـ لا.. شكراً لك.

لكن، حين ضحك كايد ودت لو جارته بذلك الخداع.

إنما، ماذا إن لم يكن ما قاله خداعاً.

* * *

٧ ـ أريد مكافأتي

أنهت تشيلسي إعداد القهوة فصبت لنفسها فنجاناً ثم أبعدت المجلة التقنية التي كانت تقرأها، ونظرت من النافذة إلى الشارع المتجمد، تملس شعر القطة دون وعي. ولكن لم يلبث أن اصطبغ وجهها بحمرة الخجل وذلك حين انتبهت إلى أنها ترقب قدوم رجل مرتدياً ثوباً رياضياً بني اللون، لا بد أن يأتي من الشارع الخلفي، لتستقبله القهوة الجاهزة، كانت تفكر في أن كايد تأخر أكثر من عادته، وتساءلت عما إذا كان بخير.

ـ «اللعنة...! ماذا دهاني أجلس هنا قلقة عليه وكأنني مراهقة تخرج مع أول صديق؟ ماذا أصابني على كل حال؟».

في الأسبوعين الأخيرين، بعد ذهاب والده عادا إلى حياتهما الرتيبة. كايد يركض صباحاً وهي تجلس قلقة عليه من البرد القارس. كان يغازلها أحياناً وكانت تصده، دون أن تعرف ما إذا كان يمازحها ليزعجها أم لشيء آخر.

لم يكن قد قابل نورما منذ أيام كذلك. وخجلت تشيلسي من الإحساس الحارّ الذي اجتاحها لدى ذكر نورما.. فقالت بصوت مرتفع تكلم بوسي:

ـ وماذا لو قابلها...؟ من يعبأ؟

جاءها الرد من نفسها، أنت تعبئين... تعبئين كثيراً، فأنت لا تريدينه معها بل معك أنت.

حاولت إنكار الحقيقة التي قفزت إلى وجهها، ولكنها لن تستطيع فعل شيء إزاءها، فحاولت عندئذ أن تتصور نفسها وهي تقول لكايد إنها موافقة على إقامة علاقة، لا ريب في أنه سيضحك بلطف متفهماً ويحملها إلى الفراش لتكون بداية علاقة ليس لها نهاية سعيدة. زجرت تشيلسي نفسها وحذرتها من الغباء ثم حوّلت انتباهها إلى بحثها.

كانت تصب فنجان القهوة الثالث حين دقت شارلوت باب المطبخ الخلفي. خلعت قفازها وفركت وجهها المتجمد من الهواء القارس في الخارج.

ـ ما أسعدني بوجودك في المنزل.. فلو اضطررت للعودة إلى الكلية لوجدوني متجمدة في الربيع.

ـ ان الذي دفعك إليّ في مثل هذه الساعة من الصباح لأمر مهم.

نظرت شارلوت إلى ما تقرأه تشيلسي:

ـ إن مؤلف هذا الكتاب جديد.

ـ إنه كتاب قد يفيدني في أبحاثي. ألم أخبرك عنه؟

ـ ماذا اخترت لبحثك؟

ـ لقد اخترته عن مساوىء الكحول ألم أخبرك؟

ـ أوه.. بلى.. نسيت.. تشيلسي، ما يخيفني الآن حقاً أن يظهر والدك في حفلة الزفاف.

ـ اوه.. كدت أنساه.

ـ أنا لم أنسه، ولا فنسنت نسيه.

ـ خلت أن كايد تحدّث إلى فنسنت.

ـ نعم تحدث إليه منذ اسبوعين لكنه عاد إلى وجومه وصمته مجدداً. وهو إلى ذلك يقوم بأشياء مجنونة كرفضه استئجار بزة

العرس.

ـ هذا هو فنسنت الذي أعرفه.

ـ يقول إذا ظهر ذلك الرجل فلن يحتاج إلى تلك البذلة. ولست أدري إذا كان يجب أن أحثه أم أتركه وشأنه، فموعد الزفاف بعد شهر. أنا حقاً في ورطة تشيلسي، هل عرف كايد شيئاً جديداً؟

ـ لم أسأله.. لكنني لا أحسب وقته قد سمح له ببحث الأمر. في الأمس كان لديه أبوه وما يولده من مشاكل...

ـ أشتاق أحياناً إلى الأيام الماضية التي لم يكن فيها ما يغمني! لا امتحان العلوم القادم أو موعد السبت.

ـ أعلم... وأنا كذلك أشتاق إلى تلك الأيام أحياناً.

رفعت تشارلوت نظرها بعد أن شربت آخر ما في فنجانها:

ـ إذا عرفت شيئاً أعلميني.

ـ اشربي فنجاناً آخر. وبعد ذلك اسألي كايد بنفسك.. إنه قادم من بعيد.

التفتت لتنظر من النافذة.

ـ شاهدت سيارته خارجاً.

ـ صحيح.. إنه يركض.

ـ في هذا الطقس؟

ـ يقول إنه أفضل وقت للركض.

بعد دقيقتين دخل كايد وهو يتنفس بصعوبة، فناولته تشيلسي فنجان القهوة الساخن. فلف يديه حول الفنجان ونظر إلى تشيلسي:

ـ لقد تدربت خير تدريب يا عزيزتي. صباح الخير شارلوت. الطرقات زلقة، تناسب التزلج أكثر من الركض. ما الذي حملك إلينا شارلوت؟

ـ أوجدت والد فنسنت؟

ـ أجل.
ـ وهل سيأتي إلى حفل الزفاف؟
ـ أجل.
فانفجرت تشيلسي في وجهه.
ـ لماذا لم تقل لي!
ـ لم أرك راغبة في المعرفة. هل من سؤال آخر؟
قالت شارلوت بمرارة:
ـ حسناً.. من الأفضل له ألا يزعج نفسه، فلو عرف فنسنت لألغى الزواج.
ـ لا تخبريه.
صاحت تشيلسي مجدداً:
ـ ما هذه المساعدة التي عرضتها، قلت إنك ستطلب منه عدم المجيء.
سألها بأدب:
ـ أقلت هذا؟ ظننت أنني سأقوم بتحقيقات عن ظروفه فقط.
ـ وماذا إن كنا لا نريده؟
فكر كايد قليلاً:
ـ حفلات الزفاف شأن علني، ولا يمكنك حرمانه من الجلوس في الصفوف الخلفية من الكنيسة ليشاهد زواج ابنه. إنه لا يتوقع أن يُدعى إلى حفل الاستقبال.. أتريد إحداكما حلوى اللوز؟
ـ أهذا ما يفعله.. يجلس في الكنيسة دون أن يعرف فنسنت بوجوده.
ـ هذا صحيح.
ـ لا أصدق كلمة مما تقول.. كيف سيأتي إلى هنا على فكرة..؟ سباحة؟

ـ شيء من هذا القبيل.
ـ وكيف يفترض بنا أن نبقي الأمر سراً؟
وضع اصبعه تحت ذقنها ثم رفعه بلطف فأطبقت شفتاها.
ـ هكذا.. كلما حثك على الكلام اقفلي فاك.
دفعت شارلوت كرسيها إلى الوراء وقالت بصوت ملؤه الخيبة والقلق:
ـ حسناً.. عساك تشرح الأمر له.
فجأة بدا صارم الوجه، فوضع القهوة من يده وقال:
ـ سأتحدث إليه.. وسيجري كل شيء على ما يرام شارلي.
هزت شارلوت رأسها وقالت محذرة:
ـ أنت لا تعرف فنسنت كما أعرفه.. أراكما فيما بعد.. وداعاً تشيلسي.
راقبتها تشيلسي تسير في الطريق ثم قالت له:
ـ لقد أفسدت الأمر يا كايد.
ـ أفهم فنسنت.. لكنني أفهم كذلك وجهة نظر والدك، وفي الوقت الراهن أنا عالق بين نارين.
ـ أتدافع عنه؟ هل أصبحتما حميمين بسرعة؟
ـ كل ما يريده هو رؤية ابنه في يوم زفافه سيصل إلى البلاد قبل الزفاف بيوم وسيقفل راجعاً إلى أميركا في اليوم التالي.
ـ وأين يعيش على كل الأحوال؟
ـ في لوس انجلوس.
ضاقت عيناها:
ـ وهل سيجتاز تلك المسافة لقضاء يومين فقط؟
ـ قد يقبل بالبقاء لو دعوته..
ـ شكراً.. يكفيه يومان.

ـ إنه زفاف ابنه الوحيد.

ـ كان والدي يحب دائماً القيام بالأمور الغريبة.

ـ ربما تكون المدة الوحيدة التي يستطيع فيها الغياب عن عمله.

ـ أنت تمزح.. ألديه وظيفة؟

ـ لم يقل هذا بالضبط.

ـ أنت تضع ثقتك برجل لم يعرف أنه برّ بوعد يوماً. أتعرف هذا؟

* * *

نظرت تشيلسي بقلق إلى كومة الأوراق أمامها.. أتتوهم الأشياء أو تراها مضاعفة؟ قد تنتهي السنة قبل أن تنهي مشروعها الذي ستقدمه قبل الامتحان الفصلي.

ولكنها الليلة لا تستطيع العمل على بحثها وأستاذه في الغرفة التالية يعيقها لأنه مشغول مع مجموعة من الطلاب المتطوعين لعنونة رسائل حملة منصب المحافظ الانتخابية. وهم إن استمروا على هذه الضجة ستدّعي أنها جارة منزعجة وتتصل بالشرطة.

سألها وهو واقف في الباب:

ـ ألديك المزيد من الطعام؟

ـ ابحث عما تريد في البراد... أتطعم جائعي أفريقيا هنا أم ماذا؟

وضع يده على كتفها فانتفضت:

ـ اهدئي. لن أؤذيك.

وبدأ يدلك مؤخرة عنقها بأصابعه حتى تسترخي العضلات المتوترة:

ـ لماذا لا تنضمين إلينا؟

ـ لأنني أعمل.. أو أحاول أن أعمل وسط هذا الضجيج كله... اسمع كايد.. لدي امتحانات فصلية، ويجب أن أدرس.. فإذا كان هذا القطيع في الداخل مستعد للتضحية بمستقبله من أجل انتخابات المحافظ، فلست أنا بمستعدة. لذا، هل لك أن تنقل مقر إدارة المعركة الانتخابية من هنا.. أرجوك؟

لم تتوقف أصابع كايد عن عملها، بل انتقلت إلى كتفيها ثم توقف ليقبل اذنها قائلاً بصوت أجش:

ـ حسناً سأتخلص منهم.. أحبك حين تودين الانفراد بي!

ارتدّت في مقعدها بسرعة:

ـ اللعنة كايد.. هذا ليس ما...

ثم أدركت أنها وقعت في الفخ ثانية، فأمسكت قلمها وغطت عينيها بيدها الأخرى مركزة بقوة على ما تكتبه.

رن الهاتف أمام ذراعه فالتقطه، وبدت الحيرة على وجهه وهو يرد:

ـ لا.. أنا لست السيد ستانتون. تفضلي تشيلسي المخابرة لك.

أمسكت السماعة متنهدة تردّ على المتحدثة وهي إحدى الصديقات التي تعرفت إليها حين علمت واسمها سوزي وهي تشاركها حبها للشعر. وقالت:

ـ آنسة ستانتون. أشعر بالغبطة. لقد قبلوني في الجامعة للموسم القادم.

فضحكت تشيلسي:

ـ أكان لديك شك؟

ـ كنت أخشى ألا أنجح في الامتحان. كان يجب أن أعلمك

فلولا تشجيعك، لما تقدمت.

ـ أنا سعيدة لاتصالك سوزي.

ـ وأرجوك. قولي لزوجك إنني آسفة لأنني دعوته السيد ستانتون. أعتقد أنني لم أكن أتوقع أن أجدك متزوجة.. فأنت لم تذكري شيئاً من هذا في الخريف.

ـ أوه.. ألم أقل لك؟ يا لطيشي.

بينما كانت تتحدث هاتفياً، ساد الصمت غرفة الجلوس. وحين انتهت لم تصدق أُذنيها فدنت تسترق السمع فإذا كايد يرتب الفوضى، ويتحدث بصوت منخفض مع بوسي، التي كانت متقوقعة فوق الستيريو وهي تصغي إلى كايد باهتمام!.

ـ لا مزيد من اللعب بالكرة. إنها تحدث كثيراً من الضجيج. ويجب أن تتوقفي عن أكل البطاطا لأنها تصدر ضجيجاً، ولبنك تسيرين بهدوء لئلا يرن الجرس في عنقك..

قفزت بوسي من مكانها وتقدمت من سلة المهملات المعدنية قرب طاولة كايد فرمتها أرضاً محدثة صوتاً مرتفعاً، ثم لم تلبث أن حملت علبة سكائر مرمية في داخلها وراحت تلعب بها، فأصدر الورق الشفاف خشخشة.

بدأت تشيلسي تضحك، وقالت بعد أن التقطت القطة:

ـ لقد أظهرت لك رأيها بكلامك. أنا مقدرة لك محاولتك تأمين الهدوء لي، فلدي كما تعلم امتحان دخول هذا الاسبوع وأنا لا أريد الدخول إليه متعبة.

ـ سيكون لك صمت كامل، وقد أتدرب على لغة الإشارات.

مرت ثلاثة أيام على هذه الحال، فكان يقضي معظم أوقاته خارجاً وحين يعود لا تسمع منه إلا وقع أقدامه وهو يتجه إلى غرفته. ولكن الأمر بدأ يوتر أعصابها، حتى حدث في إحدى

الإمسيات أن طرقت بابه، فرد عليها:

ـ اهدئي يا حبيبتي.. تشيلسي تدرس.

وفتح الباب:

ـ أوه.. لقد أرعبتني. ظننتك إحدى صديقاتي تتسلل لتسليني، أم تراك غيرت رأيك بشأن إقامة علاقة؟

تجاهلت كلامه:

ـ لماذا لا تتوقف عن التصرف الملائكي وتعود إلى طبيعتك.

ـ أنت تجرحين إحساسي تشيلسي.

ـ سأحاول أن أكون أدق كلاماً. هلا توقفت عن السير على أطراف أصابعك في الشقة والاختباء في غرفتك، والخروج لتناول الطعام؟

ـ اوه.. أنت منزعجة لأنني أتناول طعامي خارجاً.

ـ لا.. لكنني لن أقتلك إذا سمعت صوتك. لم أعد أستطيع الدرس والمكان هادىء بشكل غريب.

وهذا ما بدأ يقلقها مؤخراً.. ففي الفصول السابقة كانت تعزل نفسها أسبوعين قبل الامتحان وتنزل قابس الهاتف من المقبس حتى لا يبقى هناك من صوت إلا خرير بوسي. لكن الصمت الآن بات يزعجها.

لحق بها إلى المطبخ ليسألها:

ـ أهذه آخر امتحانات هذا الموسم؟

ـ بل لدي امتحان القبول في الغد.. ودون علامات لا مجال لقبولي.

ـ التقدم إلى هذه الفحوصات كالتقدم إلى فحوصات الدم.. وإذا كنت لا تعرفين كل شيء حتى الآن، فلن تعرفيه بالدرس.

ـ لكن بعضها يتوقف على الأستاذ.

- يبدو أنك لم تلاحظي أن الأستاذ الذي أمامك لا يؤمن بالامتحانات.
- أنا أفضّل الامتحانات على كتابة هذه الأوراق عن مشاكل العصر الحديث وارتباطها بالتاريخ.
- ابتهجي تشيلسي، بوربون عائد بعد فرصة الربيع.
- إنه أسوأ منك.
- يا لهذا الإطراء! هل لي بنسخة مكتوبة من هذا الإطراء لأزيده على أوراق اعتمادي؟ أما زلت ترفضين التصويت على الانتخابات؟
- لا أصدق أنك تنتقم مني بهذه الفروض لأنني لا أنتخب!
- لم أفكر في الانتقام حتى التقيتك. أتعلمين أن معظم طلابي انتخبوني سابقاً.

فقاطعته:

- بل إن معظمهم لم يفعل..
- يا لك من غبية. كيف تقاومين التيار؟
- إنها مسألة مبدأ كايد. وأنا لا أحب الانتخابات.

هز كتفيه:

- افعلي ما يروق لك.
- هل تريدني أن أصوّت لك في الانتخابات القادمة.
- طبعاً. يجب ألا تتذمري من النتيجة إذا لم تشاركي.
- وماذا لو انتخبت منافسك؟
- إذا كنت تنوين هذا فالخير ألا تصوتي. والآن هيا لنذهب إلى مباراة التنس لننفض نسيج العنكبوت عن دماغك.
- إن لم أجتز الاختبار بنجاح أقاضيك.
- وإذا نجحت.. هل تسمحين لي باختيار الشكر الذي

ستقدمينه لي؟

كانت الامتحانات شاقة، وكانت تشيلسي آخر من غادر قاعة الامتحان متعبة مرهقة إلى درجة أن دخلت من مدخل المنزل الأمامي لأنه أقرب مسافة. حين وصلت رمت نفسها فوق الكرسي بملابسها وحذائها.

رمى كايد قلمه من يده:

- تبدين متعبة.
- ستنال عشر علامات لقوة ملاحظتك.
- هذه إحدى فضائلي، كيف كان الامتحان؟
- مضيعة للوقت.. لن أنل الدرجة التي تخولني الاستمرار في الدراسة. كان من الأجدى لو وفرت على نفسي المشقة.
- لقد حاولت على الأقل.

ردت ساخرة:

- شكراً على الثقة. ماذا تفعل؟
- أفرز أوراقي.
- ظننت أن لديك مساعدين لهذا العمل.
- أفضّل القيام بالفرز بنفسي. الليلة دوري في اعداد الطعام، أتفضلين الأطعمة الصينية أم المكسيكية؟
- الصينية. لكن ليس لدينا «الكاري».
- أعرف مطعماً فيه ما نريد.. اصعدي وبدلي ملابسك بأخرى.
- لكنني متعبة.
- حسناً.. كوني ناكرة للجميل. ابقي في المنزل وكلي ما شئت.. فسأجد من يرافقني.

لا بد أنه سيتصل بنورما.. وقالت متجهمة:

- أنت مستأسد ظالم كايد.. لكن ستساعدني..

ـ في تغيير ملابسك؟

ـ لا.. بل على الوقوف.

جذبها لتقف ثم مسح شعرها الأشعث، وفك لها المعطف، ثم دس يده وراء ظهرها وجذبها إليه.

خفق قلبها بشدة، فقد مضت أسابيع لم يلمسها فيها. ولم تكن تدري حتى هذه اللحظة مدى اشتياقها إلى ذراعيه. رفعت رأسها إليه، وارتفعت يداها ببطء ونعومة إلى كتفيه، ومنهما إلى عنقه.

سألها بصوت خشن:

ـ هل غيرت رأيك تشيس؟

فشهقت:

ـ لا.

وانتزعت نفسها منه، فزعة من تصرفاتها. فاسوّد وجهه غضباً:

ـ أنت تلعبين بالنار، ولا تحسين باللهب حتى.. لذا يجب أن تتلقي درساً.

سمّرتها كلماته في مكانها فقالت:

ـ آسفة.. لست أدري ما يصيبني.

أوقفه كلامها عن أي رد فعل. لكنها لاحظت على وجهه أثر الصراع العنيف الذي يكابده للسيطرة على نفسه. ارتدّت إلى السلالم وهي تفكر في أن ما فعلته أشبه بنزع قميصه عنه، كانت وهي تقفل باب غرفتها على نفسها تشعر بالغضب من تصرفها الذي أوضح رغبتها فيه أدلّ من كل الكلمات ما أن يلمسها... وسألت نفسها بغضب: ماذا دهاني يا الله؟

ارتمت على السرير تدفن وجهها في الوسادة بيد أن غضبها منع الدموع من الانهمار.. سمعت وقع أقدامه خارج الباب، فذعرت. إذ ماذا تفعل لو دخل؟.. دق الباب:

ـ تشيلسي؟

ـ ماذا؟

ـ لا تفزعي يا حبي. جئت معتذراً وسائلاً عما إذا كنت ستخرجين معي أم ستبقين في المنزل غاضبة؟

لم ترد عليه..

ـ لا بأس عليك تشيلسي.. اعلم أنك خفت حتى الموت منذ قليل..

إذن.. لقد بدا ذعرها واضحاً؟ ولكن صمته كان خالياً من الغضب. وهذا ما يجب أن تكون شاكرة له:

ـ أنا قادمة. امهلني دقيقتين لأنهي تغيير ملابسي.

ـ أمهلك خمساً إذا أردت.

ردت بسخرية:

ـ يا لكرمك!

ـ هذا ما أظنه بنفسي.. لكن الحجز في المطعم لن يدوم ساعة.

لم يكن المطعم في منطقة راقية من المدينة، فسألت تشيلسي عابسة:

ـ من أين سمعت بهذا المطعم؟

ـ بدا لي اسمه جيداً في دليل الهاتف. أين روح المغامرة لديك؟ ليت طعامه أفضل من جوّه.

ـ لا يمكن أن يكون طعامه أسوأ من شكله.

فتح كايد لائحة الطعام وقال:

ـ سنذهب في المرة القادمة إلى مطعم ايطالي فلن يخطىء أحد في طهو المعكرونة.. أما المطاعم الصينية فأصيلة إلى درجة تضطر معها إلى اصطحاب مترجم...

ـ هل تعتقد أنك ستفوز في الانتخابات المقبلة؟
ـ أليس لديك ثقة بنا تشيلسي؟
ـ سأراهنك عمن سيفوز.
ـ وهل أحدد مبلغ الرهان؟
ـ خمس جنيهات.
ـ أنت لست مرحة البتة، لكنني خطير في مسألة الرهانات..
ـ بالحديث عن الرهانات..
وصمتت.. ففهم ما تريد سؤاله:
ـ اوه.. أجل لقد تحدثت إلى والدك هاتفيا.. سيحضر يوم الجمعة قبل الزفاف، ويغادر يوم الأحد.
ـ ثلاثة أيام. ألم تقل إنه لن يمكث إلا يومين.
ـ هذا أفضل ما استطاع.
ـ من المؤسف أن لا خيار لدي، فهذا يعني أنني سأضطر إلى استقباله يوماً آخر... وأين سيقيم؟
ـ ما هو اقتراحك؟
ـ ما رأيك بالغرفة الإضافية في منزل العمة سارة؟ إنها هي التي دعته أصلاً فلتستقبله.
ـ قال إنه لن يستريح هناك.
ـ حسناً.. لن أسمح له بأن ينام على أريكتي.. لن أطيق وجوده.
ـ لقد قال إن هذا الاقتراح لا يعجبه كذلك.
أحست بالتوتر فجأة:
ـ أوه..؟ وما خطبه إذن؟
فضحك كايد:
ـ هذا شأنك دائماً تشيلسي! أنت لا تريدينه، لكن حين يقول

إنه لا يريدك، تغضبين.. سيقيم في الفندق.
ـ حسناً.. هذا منطقي، فليفعل ما يريد دون أن يخبرني.. ليس لأنني أهتم..
ـ أنا واثق أنه سيجد راحته هناك.. ماذا تحبين أن تتناولي تشيلسي؟
طلبت ما تريده من الساقية ثم انتظرت حتى طلب كايد لتسأله:
ـ ماذا تقصد بقولك: إنه سيجد راحته في الفندق؟
ـ لأنه يقيم في فندق طوال الوقت.
حاولت اخفاء ارتجافها.
ـ في فندق وضيع.. أليس كذلك؟
ربما لم تشاهد أباها منذ سنوات، لكن هذا لا يعني أنها تتمنى له السوء. ابتسم كايد.
ـ لم يعطني العنوان.
ـ تعلم ما أقصد.
ـ لا أعتقد أن فندقه يناسب الطبقة المتوسطة.
أقبل الساقي فوضع قصعة الحساء الصيني أمامهما. قالت له:
ـ هل أعلمته أن فنسنت يرفض حضوره.
ـ كما أعلمته أنه يهدد بإلغاء الزواج أيضاً.. والأمر يعود إليك في اطلاع فنسنت على خبر قدوم والده يوم الزفاف أو عدمه.
ـ لماذا يقع الحمل عليّ دائماً؟
ـ لأنك اخته.. أنسيت؟ أما والدك فقال إنه سيفعل ما تريدينه أنت.
ـ لماذا لا يرجع إلى انكلترا إذن؟ بإمكاني أن أقول له هذا في الحال. لماذا لا نتصل به الليلة ونسوي الأمور؟
ـ لا.. غير ممكن.

ـ لماذا؟

ـ لأنه سيغيب عن مسكنه بضعة أيام.

ـ هذا يعني أن لا عنوان له.. أعتقد أنه يتصل بك معتمداً على حسابك المصرفي كايد.. أنت رقيق القلب.

هزت رأسها ثم جربت الحساء، وأبعدته عنها.. فأمسك بيدها ووضعها على خده.

ـ أعرف.. أنا أحاول دائماً انقاذ الشابات البائسات.. متى سأحصل على مكافأتي؟ نظراً للمشقة التي أتكبدها من أجلك، عليك أن تفكري في مكافأة مميزة.

* * *

٨ ـ دعوة إلى العشاء

الثلج يتساقط، رقعاً رفعاً تتطاير ببطء ثم تهبط على الشوارع البيضاء.. أضواء السيارة الأمامية تنعكس على الثلج، والسيارة الحمراء الصغيرة تنطلق باتجاه المطار. التفتت تشيلسي في مقعدها قلقة من انزلاق السيارة قليلاً، ومن عودتها بسرعة إلى مكانها.

ـ أراهن أن الرحلات الجوية قد أُلغيت اليوم.

ـ يلزم المطار أكثر من بضعة انشات من الثلج لإغلاق أبوابه.

صمتت قليلاً ثم قالت:

ـ لم تخبرني بقدومه من لندن إلى هنا جواً؟

ـ لأنك لم تسألي.

ـ بلى سألت فأجبتني أنه قادم سباحة.

هز رأسه:

ـ أنت من اقترحت هذا.. هذا إلى أننا يومذاك كنا نتحدث عن سفره من أميركا إلى بريطانيا وليس من لندن إلى شفيلد.

ـ من أين له ذلك المال؟ أراهن أنك أرسلته له!

ـ اسمعي تشيلسي. إذا كنت ستصابين بانهيار عصبي على الأقل فافعلي هذا بهدوء.. فالطريق حافلة الصعوبات.

ـ ظننتك قلت إن بضعة انشات من الثلج لا تبعث القلق.

ـ هذا بالنسبة لمدرجات المطار.. أما الثلج على الطرقات فأمر مختلف ذلك أن الشوارع لم تنظف من الثلج منذ أسبوع، أي منذ

العاصفة.

ـ ليتك أخبرتني بأنه سيأتي جواً.

ـ تشيلسي.. أنا أفهم رغبتك في عدم مناداته بـ «أبي»، ولا أحسبه يتضايق إن ناديته باسمه مجرداً. إنما أرجوك أشيري إليه بأكثر من كلمة «هو» التي استخدمتها أسبوعاً.

ـ سأتذكر أن هذه الكلمة تزعجك.

دست يديها في جيبي معطفها وانخفضت في مقعدها تصفر صفيراً لا نغم فيه.

دفعت تشيلسي بابها وشهقت من شدة البرودة التي صفعتها حين توقفت السيارة أمام المطار. لحقت به في الممر حتى وصلا إلى مبنى الوصول، فسألها:

ـ أتودين فنجان قهوة أو شاي أو أي شيء يبعث إليك الدفء؟

ـ أتقول إنك بحاجة إلى ما يدفئك أثناء انتظارنا؟

ـ كنت أتناول شراباً لدوافع أقل من هذه.

ـ الشاي سيكون رائعاً. شكراً.. على أن أدفع ثمنه.

ـ حسناً اتفقنا.

ما أن استقرا على الطاولة، حتى بدأت تشيلسي تضع مكعبات الحليب والسكر لتبني منها هرماً يعلو بضعة أنشات فحذرها كايد:

ـ لو كنت في الثالثة من عمرك لضربتك. إن كنت متوترة فلا تحدثي فضيحة في المقهى على الأقل.

ـ ماذا إن لم تصل الطائرة في الوقت المحدد؟

ـ اطمئني لن تتأخر. وإن تأخرت يكون في تأخرها فائدة لك، فتنسيك قلقك.

ضحكت:

ـ أنت على حق. أنا قلقة أكثر من عروس ليلة زفافها.

ـ ستكونين رائعة حتى لو كنت أكثر توتراً من شارلوت.

ـ وكيف لا أقلق... ماذا ستفعل لو تبين لك أن أبي أقل قيمة مما تتوقع؟

ـ ربما اعيده على الطائرة ذاتها.

ـ ماذا لو رفض العودة؟ أنت أحضرته لذا عليك أن تكون كفيلاً بألا يسبب لنا المشاكل. ماذا لو قرر البقاء مدة أطول؟

ـ أنت حرة التصرف بعد يوم الأحد. فسأسافر لأمضي عطلة الربيع مع أمي.

ـ أتتركنا لنتدبر أمرنا معه؟

ـ ولماذا تقلقين ما دام شارلوت وفنسنت ذاهبين في رحلة شهر العسل. فإن قرّر والدك المكوث في شفيلد فما عليك إلا إقفال الباب، وسحب الهاتفْ من المقبس. ماذا تراه سيفعل؟ هل يجلس على عتبة بابك صائحاً؟

ـ لست مقتنعة.. لماذا يجب أن تسافر؟

ابتسم فلمعت أسنانه البيضاء:

ـ أيعني هذا أنك ستشتاقين إليّ تشيلسي؟

ـ ربما لا... لكن بوسي قد تفتقدك.

ـ أنا سعيد لأنك بينت الأمر، إذ كنت سأسافر حاملاً معي أملاً مزيفاً.. مع أنني من جهتي سأشتاق إليك كثيراً.

ـ لماذا ستسافر إذن؟

ـ على أمل أن تشعري بالبؤس من غيابي، لتصبحي حين أعود ألطف وأرق في معاملتي. أنت لا تعرفين الضغط الذي يشعر به رجل حين تعامله امرأة وكأنه أخوها. أنت تقودينني إلى الجنون تشيلسي!

ردت بسخرية:

ـ حسناً.. إياك أن يمنعك هذا الشعور من المرح.

ـ ليتني قادر. أظنني سمعت نداء وصول رحلة والدك.

بدأ قلبها يخفق بشدة وهما يسيران في الممر الطويل المفضي إلى أبواب الدخول... هل ستتعرف إلى والدها؟ لقد مضى ما يقارب خمسة عشر عاماً منذ أن شاهدته آخر مرة.. وكانت يومئذ طفلة... وهو في المقابل هل سيعرفها؟

لم تكن تعلم أنها تضع يدها في يد كايد حتى ضغط عليها مطمئناً.

ـ ها قد وصل الركاب.

ورفعت بصرها إلى الممر بوجل تنظر إلى الركاب المقبلين باتجاهها، وتحاول اخفاء توترها بالسخرية، فسألت كايد:

ـ ألن تحمل وردة حمراء بين أسنانك ليتعرف إلينا؟

ـ قال إنه لن يجد مشقة في التعرف إليك.

ـ كان دائم الثقة برأيه.. أم تراه سيحمل زجاجة شراب تحت إبطه لتتعرف إليه؟

ـ تشيلسي.. لماذا لا تعترفين بخوفك من الالتقاء به؟ وعندها تتوقفين عن هذا الهراء فيسعد الجميع.

ـ وبالأخص أنت.

ـ قومي بهذا لتسعديني.

نظرت إليه متحدية:

ـ إن حسبت أنني قد أقوم بما لا أريده لإرضائك فحسناً أنت مخطىء.

ـ سنتكلم عن هذا في وقت آخر. أظن أن زائرنا وصل الآن.

التفتت تشيلسي فرأت رجلاً يتجه نحوهما، شعره أبيض، وجه متغضن يبدو أكبر مما توقعت. لكنه في الخمسينات من عمره، أنا

بذلته فأنيقة مريحة، مع أنها ليست جديدة.

توقف ادوين ستانتون على بعد ذراع واحد.. وقال بهدوء:

ـ مرحباً تشيلسي.

جفّ فمها فحاولت التفوه بكلمة واحدة امتنعت عن الخروج... ابتسم فأضاءت الابتسامة وجهه:

ـ إنه غير سهل لقاؤنا هذا.

ثم التفت إلى كايد يمد يده.

ـ أنت كايد دون شك.

ترك كايد يد تشيلسي، فأحست بأنها وحيدة..

ـ فنسنت لم يستطع المجيء. (قال كايد).

ـ لم يستطع أو لم يرغب؟ كان عليّ ما دام على تعنته أن أبقى بعيداً. لكن رؤية تشيلسي من جديد تستحق عناء هذه المشقة. أنت لا تشبهين الطفلة الصغيرة التي هجرتها.

بدأت الدموع تشق طريقها بصمت، فمسحتها بظاهر يدها غاضبة من نفسها. أما كايد فمدّ يده إلى يدها ثانية قائلاً:

ـ فلنحضر حقائبك ادوين إذ لا معنى من الوقوف هنا.

كان الثلج يتراكم في الشوارع، وحين أنهى والدها تسجيله في الفندق كانت الطريق قد أصبحت زلقة وخطرة. ومسّاحات السيارة غير قادرة على مسح الثلج الكثيف عن الزجاج.

حين عادا إلى شقتهما توجه كايد فوراً إلى البراد:

ـ لا أعرف ما هو عليه حالك. أمّا أنا فأكاد أموت جوعاً، إن لقاء الآباء هذا يوتر معدتي.

ابتسم لها وسأل:

ـ أتودين سندويشاً؟

ـ لا... لكننا لم نتناول العشاء إلا منذ ساعتين!

ـ أعلم هذا، ويجب أن اكلم فنسنت عن الطعام الذي يختاره.
ـ كان اللحم ساخناً.
ـ أجل.. لكن إذا أراد أن يبقى صديقي فليتخلّ عن اللوبياء الخضراء.
ـ وكأنه لم يتناول المشروبات الروحية منذ سنوات.
ـ من.. فنسنت؟
ـ تعرف من أعني.
ـ اوه أنت تتحدثين عن ادوين.. أجل لقد أخبرني بتركه المشروبات.
ـ كان يجب أن تخبرني.
ـ أكنت ستصدقين؟
ـ لا.
ـ لذلك حبست هذه المعلومة في جوفي.
تبخرت نواياها الطيبة في الهواء وقالت بحدة:
ـ تعتقد دائماً أنك أكثر مني فهماً.. ألم تزج أنفك في شؤون عائلتي أكثر مما يلزم.
ـ لقد انتهيت..
ـ وهذا ما يتركني أمام مشكلة.. ماذا سأقول لفنسنت؟
ـ الحقيقة خير طريق. وفي الحديث عن الحقيقة أظن أن من المنصف أن أقول لك ما تبقى من الحقيقة تشيلسي.
ـ ماذا تعني؟
ـ ادوين ستانتون لا يعيش في فندق في لوس انجلوس فقط، بل هو يملكه.
التقط طبقه وهو يصفر ثم غادر المطبخ.
كان الصباح التالي هادئاً، فبعد القنبلة التي وقعت على رأسها،

قررت تشيلسي أن الصمت هو دفاعها الوحيد، إذ خشيت أن تقتل كايد إذا قال كلمة أخرى.
كرهته لأنه خدعها وجعلها تبدو بلهاء كما جعلها التفكير في الملاحظات اللاأخلاقية التي تفوهت بها عن أبيها تحس بالغثيان.
يوم الزفاف مشت تشيلسي آلياً في ممر الكنيسة وهي تشعر بالجو الضبابي حولها يطبق عليها.
وقفت.. جلست.. وركعت كما قيل لها. كان وجه شارلوت المشرق الذي أحاط به شعرها الأسود واحداً من أشياء قليلة تذكرتها.
أما الشيء الآخر الذي ترسّخ في ذهنها فكان كايد وإدوين الجالسين بعيداً عن جانب المذبح الآخر، بعيداً عن العيون التي قد تتعرف إليهما، لكنهما مع ذلك لم يغيبا عن ناظريها حتى عندما جلست تصغي إلى عظة الكاهن، فلم تجد نفسها إلا محدقة إلى كايد الذي جلس والدها قربه مركزاً اهتمامه على المراسم، لكن كايد لم يظهر وكأنه يسمعها ولم يحدث أن نظر إلى تشيلسي إلا عرضاً.
إنه لا يفهم.. فجأة أدركت أن توترها لا يعود إلى وجود إدوين وحده، بل إلى علاقتهما. فلماذا يجب أن يكون بينهما مثل هذا الجدار؟
وأجابت عن تساؤلها: السبب هو شخصية كايد الثورية وثراؤه وشهرته وذكاؤه في حين أنك لست سوى تشيلسي ستانتون.. الطالبة التي يميل قلبها إليه.. هي الآن تفهم شغفه بالسياسة وهجره للتعليم، فوقوع هذا العدد من الطالبات في غرامه أمر يضجر.
تحلق الجميع في قاعة الاستقبال الملحقة بالكنيسة حول

العروسين.

ـ ها هو ادوين! لقد حضر أخيراً يا فنسنت!

كانت هذه الصيحة من العمة سارة التي شقت طريقها تدفع الجمع وصولاً إليه.

في تلك اللحظة شاهدت تشيلسي كل شيء.. إدي عند الباب يهز برأسه نحو العمة سارة، التي جرته عنوة إلى الداخل حيث كان فنسنت ينظر إلى شارلوت وفي عينيه ما يشبه الاشمئزاز فاندفعت تشيلسي تخترق صفوف الناس لتمسك بذراع فنسنت ولتقول:

ـ لا تعرف شارلوت بقدومه. ما كان من المفترض أن تعلما بوجوده.

استدار إليها شقيقها بحدة:

ـ قلت إنني لا أريده هنا.. وكنت أعني ما أقول.

ـ فنسنت إنه رجل مهذب.. إن طلبت منه الذهاب يذهب. كن لبقاً وتحلَّ بالروح الرياضية.

دفع يدها عن ذراعه.

وران الصمت على الناس المحتشدين حين تقدم ادوين، وكانت العمة سارة قد لاذت أيضاً بالصمت لأنها فهمت أنها كانت سبباً في مشكلة كبيرة.

قال ادوين ستانتون بصوته الهادىء العميق:

ـ فنسنت.. شارلوت.. أعلم أنكما غير سعيدين بوجودي هنا. وأنا آسف لإفسادي يومكما. صدقاني.. لم أكن أقصد إفساده. أتمنى لكم أفضل الأماني.

ثم استدار على عقبيه.

تفرق الجمع على الصفين فأفسح له مجال العبور بسهولة،

بينما تشيلسي في مكانها تراقبه، وتلاحظ في انخفاض كتفيه دليل التعاسة، والقبول بحق فنسنت في رفضه... فجأة لم تعد تحتمل فليس من الإنصاف تركه وحيداً مهجوراً هكذا.

أعطت سلة الزهور دون وعي إلى عمتها سارة.. والتقطت طرف تنورة الفستان الطويل، وطارت عبر الغرفة تجري خلف أدوين ستانتون الذي وضعت يدها على ذراعه تقول مبتسمة رغم الدموع التي غطت عينيها:

ـ ما رأيك لو تدعوني إلى فنجان قهوة؟

بدأت ابتسامته تظهر في عينيه الزرقاوين العميقتين. رفع خصلة من شعرها الأشقر عن وجهها وردَّها إلى الوراء، ثم قال:

ـ مَا أحب هذا إلى قلبي يا عزيزتي، لكن الحفلة حفلتك أنت أيضاً وهذا هو مكانك. إن ما قد يسعدني هو قبولك دعوتي إلى العشاء الليلة.

هزت رأسها باكية ومبتسمة.

ـ أنتظر الليلة بفارغ الشوق.

تطلعت حولها فوجدت عيني كايد مستقرتين عليها بتساؤل لم يلبث أن تحوّل إلى ابتسامة أشعرتها بحرارة راحت تجتاح قلبها. وما هي إلا لحظات حتى اقترب فنسنت منها فقال يوجّه الكلام إلى والده:

ـ لم أطلب منك الرحيل.

ـ ولم تدعوني كذلك. فهل تريدني في حفل زفافك؟

التقى بريق عينيه الأزرق ببريق عينيّ ابنه الذي خبا أولا.

ـ لقد قطعت مسافة بعيدة.. فابقَ إن شئت.

ساد صمت طويل قطعه أدوين حين مد يده:

ـ سأحب هذا كثيراً يا فنسنت.

حين أخذ فنست يد أبيه، أحست تشيلسي بالمدعوين يتنفسون الصعداء.

كانت قد مضت ساعتان قبل أن يتقدم كايد إلى جانبها قائلاً:

ـ عرفت أن لديك موعداً على العشاء، وتلقيت دعوة للمجيء معك إذا كنت لا تمانعين.

أرادت أن تقول: أمانع؟ بل أنا مغتبطة لهذا. لكنها قالت برباطة جأش:

ـ لا أعبأ. تعال إن شئت.

ـ سأفكر فيه.. على فكرة، لقد تمتعت بلقاء عمتك سارة. لقد أملت عليّ تفاصيل طفولتك.

ردت بصوت أجش ثابت:

ـ تظن أن اهتمامك بي رومانسي.

ـ فهمت هذا. ولكن من المستحسن ألا تعرف شيئاً عن طريقة معاملتك لي.

وتحرك بين الحضور.. فتسللت إلى غرفة الملابس وجلة ليس بسبب والدها بل لأن موجة حبور اجتاحتها حين قال كايد إنه قادم معهما إلى العشاء. وعاتبت نفسها مؤنبة: أنت تتناولين العشاء معه كل ليلة.. ومن الجنون أن يزغرد قلبك هكذا لأنه سيكون معك الليلة.

لكن.. ها هي.. مجنونة كانت أم لا.. تشعر بالسعادة.

رتبت شعرها في مكانه، وسوّت فستانها، وشدت قفازها فوق أصابعها، تود لو تستعيد السيطرة على نفسها خلال غيابه كما تود بشوق المحافظة على هذا الوعد.

* * *

٩ ـ حين تظمأ الأشواق

تقدم الأسبوع بطيئاً بالنسبة لتشيلسي.. فالحرم الجامعي هامد وما من طلاب فيه أو في منازلهم، فقد غادروا جميعاً إلى منازل أهلهم لقضاء عطلة الربيع مخلفين كل شيء وراءهم صامتاً.

كان والدها قد اتصل بها مرة واحدة شعرت خلالها بالسرور لأنها تتحدث إليه إذ كانت تحس كما يحس به إنسان وجد صديقاً قديماً عاد بعد غيبة. ولكن ما أن انقطع الاتصال الهاتفي حتى طغت عليها الوحدة من جديد.

وتلقت اتصالاً من برنارد إفرت في مطلع الأسبوع يسأل عن ابنه فأخبرته بأنه يزور أمه. حين سمع ما تقول شهق هائجاً:

ـ هذا آخر مكان توقعت أن أجد فيه ذلك الولد.

ثم تبادل الحديث معها نصف ساعة يسألها عن مشروع بحثها وعن وجهات نظرها التي يبدو أنه يحب الاطلاع عليها لمعرفة آراء الجيل الشاب.

علمت أنها تحتاج إلى حدث عظيم يثير حبورها. ولكنها شعرت بالقلق من اشتياقها إلى كايد ومن افتقادها وجوده الذي غدا هاماً جداً في حياتها. لقد عاشت وحيدة سنوات وها هي ترى الشقة فارغة، بدون إزعاجه لها وبدون وجوده.

قالت لنفسها بهدوء وهي تخفق الزبدة مع عجينة الفطيرة:

ـ لقد وقعت في حب كايد إفرت...

يبدو وكأن من المحتم عليها أن تقع في حبّه.. لقد كان لها تجربة مع الشبان أما الرجال العارفين بأسرار الحياة فما كانوا يدخلون حياتها دائماً.. لذلك لا تستغرب انقلابها رأساً على عقب في حبه.

لقد حسبت أنها قد أغرمت يوماً ولكنها اكتشفت أن ما شعرت به وهم.

حاولت أن تشغل نفسها عنه بالتفكير في أشياء أخرى، فهي ترفض أن تصبح عانساً عجوزاً لأن من أحبته لا يريدها.

تجاهلت الألم الذي طفق ينمو في قلبها، حين تذكرت الصيف المقبل الذي قد تكون فيه قابعة في شقة أخرى أو في بلدة أخرى بعيداً عن كايد.

عبثت تشيلسي بالرسائل التي أحضرتها من صندوق البريد والتي كان معظمها لكايد.. لقد أصبحت الرسائل كالعادة مكدسة على زاوية طاولته، ثم لفت نظرها مغلفاً عليه اسمها واسم عميد كلية الدراسات العليا. أهو قبول أم رفض يا ترى؟

حدقت في المغلف تخشى فضه إلا أنها تشجعت أخيراً تمد يدها إلى سكين المطبخ وتدسه بعناية في فتحة المغلف.. ثم أخرجت الورقة المطوية ببطء وحذر وكأنها جمر ملتهب.

فجأة قرع الجرس، فتركت الرسالة من يدها وذهبت تفتحه.

كانت نورما تشامبرلين هي الواقفة في الباب. ترتدي معطفاً صوفياً بسيطاً بدل الفراء الذي كانت تضعه في المرة السابقة، فقالت لها:

ـ كايد ليس هنا.

ـ أعلم أنه عند أمه.. تحدثت إليه ليلة أمس. أريد الآن أن أتحدث إليك أنت.

ارتدّت تشيلسي عن الباب صامتة. فماذا تريد نورما منها؟

ـ أتودين تناول الشاي؟

ـ لا.. فما جئت أقوله لن يطول.

وجذبت كرسياً جلست عليه في المطبخ وقالت بسرعة:

ـ سأتزوج بكايد.

كانت تشيلسي حين قطعت المسافة من الباب إلى الطاولة قد استردّت رباطة جأشها بعد الصدمة التي تلقتها.

ـ اهنئكما.. متى اليوم السعيد؟

ـ لم نحدده بعد.. لكن قبل بدء الحملة الانتخابية طبعاً وقبل أن نعود إلى لندن.

ـ هذا أمر حكيم.. فلن تجدا سعادة في شهر عسل تقضيانه في قطار الحملة الانتخابية.

ـ لا تكوني ساذجة تشيلسي.. كايد مهتم بالتحالف القوي أكثر من الزواج نفسه، ووالدي سيساعده كثيراً... ولقد أمّن له وظيفة.

ـ آه. إن هذا يخيّب آمالك دون شك.

ـ لا تضيعي لحظة في الأسف عليّ.. فأنا لم أعد أحبه أكثر مما يحبني.. ولا أرغب في أن أحب.

ارتشفت تشيلسي رشفة من الشاي وسألت:

ـ إذا كنت لا تحبينه فلماذا تتزوجينه؟

ـ يا لسذاجتك؟ سأصبح سيدة ذات شأن في لندن يتوسل إليها علية القوم لتدعوهم إلى حفلة من حفلاتها. لدى كايد المال اللازم، وستكون له السلطة، بمؤازرة والدي. كايد هو الرجل الوحيد المتوفر لي الذي قد يجعلني يوماً سيدة مهمة.

نظرت تشيلسي إلى كوب الشاي لئلا تضطر إلى التحديق في نورما، فلو نظرت إليها لرمت الكوب في وجهها بالتأكيد:

ـ ولماذا تخبرينني هذه المعلومات؟

ـ لأنك فتاة بريئة تعتقد أن أي رجل ينظر إليها مولهاً بها وحين يتركها تتألم.

ـ وهل يحدث هذا غالباً؟

ـ في كل فصل تظهر واحدة. وهي عادة فتاة يختارها ويرعاها ويوليها عناية خاصة..

ـ وينام معها؟

ابتسمت نورما ببرود:

ـ طبعاً.. لكنك الأولى التي يسكن معها.

ـ ربما أكون حقاً مختلفة يا نورما.

ـ صدقيني لست مميزة أبداً.

ـ اذن أنت قلقة من علاقتي به. أتخشين أن يغير رأيه بك؟

ـ لست قلقة أبداً... فهذه العلاقة سرعان ما تمضي، وما أن يأتي الصيف حتى تصبحي مجرد ذكرى. إياك والاغترار بالنفس لأنه لا يقف طويلاً أمام أطلاله وذكرياته.

ـ وكأنك لا تأبهين أبداً لما يقوم به من مغامرات عاطفية.

هزت نورما كتفيها:

ـ سيبقى هناك دائماً امرأة، فهو ليس ممن يخلص لامرأة واحدة فقط حتى وإن اعتقد أنه مغرم بها.

وتذكرت تشيلسي ما قاله لها كايد عن زواج أبويه.. ثم سمعت نورما تردف:

ـ ما دامت تجيد المرأة الأخرى اللعبة، أقف غير مبالية، ولكن ما يقلقني، مثيلاتك من الفتيات اللواتي لا يعرفن متى تنتهي علاقة الحب.. إنهن يُثرن مشاكل جمّة.

تذكرت كذلك أنها سمعت برنارد إفرت ينصح ابنه بالزواج من

امرأة تعرف قواعد اللعبة.. فهل وجد كايد أن والده على حق؟

وسألت الفتاة:

ـ لم تخبريني إلى الآن بداعي وجودك عندي الآن!

وقفت نورما:

ـ أنا هنا لأن بعض الفتيات حين تجرح قلوبهن يحاولن الانتقام. ويضطر عندها كايد إلى القسوة، وأنا أرى أنك مغرمة بسحره حتى بتّ لا تفكرين أبداً في ما قد يراه في حمقاء مثلك، أتعتقدين أن علاقته بك علاقة جادة؟ وما ذاك إلا لأنه يشاطرك الفراش؟

ودنت من الباب مضيفة:

ـ حسناً.. لقد أنذرتك. وقد أعذر من أنذر.

ـ عظيم نورما. هل انتهيت؟

ـ إياك وخداع نفسك بقدرتك على هزيمتي فلن تستطيعي... لأنني لا أُهزم.

واندفعت إلى الخارج نحو سيارتها.

لم تزعج تشيلسي نفسها بالرد، بل اقفلت الباب خلفها، متمنية لو أطاعت هواها وقذفتها بالشاي الساخن. نعم لا تنكر أن نصف كلامها كاذب ذلك أنها لا تصدق أن كايد قد يتزوج بها طمعاً بسلطة والدها، وعلا صوتها تخاطب نفسها:

ـ لا.. فليس كايد برجل من هذا النوع.. نعم السياسة عمل قذر. لكن ليس بالنسبة لكايد..

ولم يلبث أن سار تفكيرها إلى مسار آخر.. ترى كم هي الأشياء التي قد يبذلها في سبيل المركز والسلطة؟ هو إنسان نشأ بين أبوين يُعتبر زواجهما عاراً وبات يعتبر الزواج مزحة كبرى. لذلك من الطبيعي أن يتخلى عن عزوبيته حتى يتبوأ مركزاً مرموقاً في

الدولة بل من الطبيعي أن يتخلى عن أكثر من هذا إذا دعت الحاجة إليه.

صممت ألا تعيد التفكير في الموضوع ثانية، فأخرجت الفطيرة المحلاّة من الفرن وكانت قد كادت تحترق، ثم التقطت رسالتها.. مهما كان الرد فيها تستطيع على الأقل من خلالها اتخاذ القرارات المناسبة، فلن يكون هناك بعد الآن تردد، أو انتظار من يقرر عنها، أو انتظار ما سيفعله كايد.. إنها الآن المسؤولة الوحيدة عن مستقبلها.

كانت الرسالة مختصرة فيها بضع جمل تفيد أن كلية الدراسات العليا ترحّب بها طالبة. حملت الرسالة دهشة ثم راحت تدور وتدور حول المطبخ تراقص القطة المذهولة بين ذراعيها وتصيح بها:

ـ قبلوني.. لقد نجحت.

ولكن فرحتها لم تدم طويلاً.. فسرعان ما هبطت من سماء الفرح إلى أرض الواقع.. صحيح أن من المبهج متابعة الدراسة.. لكن من أين لها وسيلة العيش؟ كانت خطتها تشمل دفعات من المصرف تأتيها في الخريف القادم.. أما الآن فلا تعرف ماذا تفعل. فأمامها رسوم عليها دفعها هذا عدا عن نفقات معيشتها، فمنحة التعليم تنتهي بتخرجها من الكلية التنفيذية.

حسناً... ستتدبر الأمر.. فلن ترفس فرصة كهذه، الدكتور ديكنسون على حق. ثمة طرق وسبل دائماً هذا إن كانت راغبة في الاستمرار.

حين سمعت صوتاً في الخارج كانت مستلقية على الأريكة على قدميها قطتها وعلى صدرها آخر قصة في السوق.

لعله غصن شجرة احتك بجدار المنزل.. إن لم يكن لديها عمل هذا الأسبوع فمن الأفضل أن تستغله بالراحة.. لكن الصوت

عاد مجدداً.. وتعالى إثره صرير الباب فوراً في الشقة المظلمة..

جلست مضطربة تسمع وقع أقدام على أرض المطبخ.. هل أقفلت الباب الخلفي؟ هل دخل لص معها إلى الشقة؟

أخرجت نفسها من دثارها الصغير الذي تدثرت به والرعب يشل حركتها تقريباً... وحين تحررت من ذعرها واستطاعت الوقوف كان وقع الأقدام قد بلغ باب غرفة الجلوس.

ثم شع نور المصباح في الغرفة، فوقفت ترفرف بعينيها وتنظر إلى كايد الواقف في الباب، فابتسمت ببطء:

ـ لقد عدت باكراً. ظننت أن لصاً دخل عليّ..

كان قلبها يغني بحبور، لقد عاد.. لقد عاد إليّ..

ـ وظننت أن هناك لصاً أيضاً. جميع الأنوار مطفئة فحسبتك خارجاً.

وقفا للحظات وكأنهما مشلولان.. بدا لها رائعاً..

رفعت يدها إلى شعرها الأشعث قائلة:

ـ إنني في حالة مزرية.

ـ أنت لا تعرفين كم تبدين جميلة.

لم تعرف بعد ذلك من تحرك قبل الآخر.. فقد وجدت نفسها فجأة بين ذراعيه.. في وسط الغرفة ملتصقين متحدين وكأنهما لا يستطيعان الاتحاد أكثر، وقال لها بصوت أجش:

ـ يا الهي كم اشتقت إليك.

تسللت يداه إلى وجهها يلمسه برقة وينتقل منه إلى شعرها الأشقر الطويل قبل أن يعود إلى ضمها إليه.

نسيت كل ترددها ورفعت رأسها نحوه.. ذلك العناق الأول بينهما منذ أسابيع مضت لا يمكن نسيانه.. لكن هذا أمتع وأقوى، امتص منها كل ذرة مقاومة وأنساها كل حذر.

تركت أصابعها تجول باضطراب على خطوط زاويتي عينيه، وجنتيه، ففكيه ومنها إلى فتحة قميصه فعنقه.

فابتسم لها، متمتماً:

- ما أروع هذا الاستقبال.

وحملها ليمددها على الغطاء الذي وقع منها أرضاً واستلقى أمامها لحظة، ثم ضمها بذراعه بينما امتدت الأخرى لتداعب شعرها ووجهها، حتى أصبحت مقطوعة الأنفاس لا تستطيع الحراك ولا تقوى إلا أن تشعر به وبلمساته الخفيفة التي كانت تؤجج النيران فيها.

همس في اذنها:

- مسرور أنا لأنك اشتقت لي. اعتقدت أن ابتعادي عنك قد يدفعك إلى هذا.

انتفضت.. لكنها قررت تجاهل ما وراء كلماته.. انسي أنه قال شيئاً ولكنه أردف قائلاً:

- لقد اخترت طريقة رائعة للاحتفال عزيزتي.

- الاحتفال بماذا؟

- بوجودنا معاً... بعملي الجديد بالطقس الدافىء.. اختاري واحدة.

- عملك الجديد؟

- ليس هذا وقت الحديث عنه تشيلسي، ربما فيما بعد...

- ما هو العمل الجديد؟

تنهد وتوقف عن مداعبتها:

- إن تفكيرك لم يتخذ إلا اتجاهاً واحداً.. سأعود إلى لندن في شهر حزيران لأجري تحقيقاً خاصاً يتعلق بباتريك تشامبرلين. أتريدين رؤية الأوراق الآن أم بعد أن ننتهي؟

إذاً كانت تورما صادقة في كلامها.

- لا تلمسني. (صاحت به).

- ماذا تعني؟

- أعني ارفع يديك عني لقد خططت لما تفعله الآن. أليس كذلك؟

لم يتركها.

- ما توقعت أن يحدث هذا بيننا. لولا ارتماؤك بين ذراعي لقلت لك مرحباً ولصعدت بعد ذلك إلى غرفتي. بدوت موافقة كل الموافقة.

- هذا كان قبل.

- قبل ماذا؟ اللعنة! ماذا فعلت؟ أليس الوقت متأخراً لتمثيل دور البريئة؟ أنت من دفعني إلى معانقتك.

ردت بصوت متوتر منخفض:

- غيرت رأيي يا كايد.. فحذار من الاقتراب مني لأنه سيغدو اغتصاباً كما تعرف.

رد بجفاء:

- هكذا إذن.. ما أشدّ أسفي وحزني على جون هارفس.. لكن بما أنني لست يائساً لامرأة مثله فلن أفعل فعله.

نهض عن الأرض ينظر إليها وهي مستلقية:

- إنه خيارك تشيلسي. لقد ظننتك تغيرت. ولكن يبدو أنك ما زلت تحبين التلاعب.. حين تغيرين رأيك أخبريني.

- أيها المتعجرف المغرور ابن الـ...

قطع كلامها بحدة:

- لكن اقنعيني أولاً عندها...

بقيت مستلقية تلعن نفسها على غبائها وتترك الدموع الساخنة

تنحدر إلى وجنتيها، ولكنها حين سمعت صوت ارتطام حقائبه بالأرض فوقها قامت من مكانها تعيد ترتيب ثيابها.

كفاك أحلاماً يا تشيلسي.. نورما على حق.. لقد آمنت حقاً أنك مختلفة، وظننت أنه يهتم بك. فكنت غبية.

لم يبقَ على انتهاء الفصل غير خمسة أسابيع، ولكنها فجأة شعرت بأن هذه المدة أمر واقع عليها الصبر حتى مضيها.

* * *

١٠ ـ خذ الذكريات وارحل

كانت عودة الحياة الجامعية إلى مجراها باعثاً على الراحة فقد استطاعت على الأقل الانشغال بالدراسة عن التفكير فيه. لم يكن ما يشغل بالها وجوده في البيت بل عدمه، فقد كان منذ عودته من العطلة لا يقضي فيه أكثر من عشرين دقيقة في اليوم، أما الليالي فكانت تجهل أين يقضيها... ربما مع نورما...

كانت مشغولة البال إلى درجة جعلتها لا تسمع نداء الدكتور ديكنسون إلا حين تقدم إلى باب مكتبه وكرره، عند ذاك استدارت وجلة وردت:

ـ أتريد رؤيتي؟

ـ لا.. فأنا أصرخ بأسماء الطلاب في الردهات والممرات للتسلية.. ادخلي إلى هنا..

جلست تشيلسي قرب مكتبه ولفت قدميها حول قائمتي كرسيها..

ـ لماذا لم تأتي لرؤيتي؟ (سألها).

ـ لماذا آتي؟

ـ لقد أعلمتني كلية الدراسات بقبولهم طلبك.. ألا تريدين التقدم بطلب وظيفة مساعدة أستاذ؟

ـ أعتقد هذا.

ضاقت عيناه فيها:

- إذن.. أعتقد أن علينا أن نبدأ العمل.. أم أنك ستتخلين عني؟

- لا.. سأكون معك.

- تشيلسي! ما الذي أصابك في الأسابيع الأخيرة؟

نظرت إليه بثبات:

- لا شيء له أهمية دكتور.

- أشك في هذا.. لكن مهما يكن، سأتصل بالعميد وأرى ما نستطيع فعله.. ستدرسين الإنكليزية في الصف التحضيري. أليس كذلك؟.. لكن ماذا لو لم يكن هناك مراكز شاغرة؟

- سأبحث عن عمل، فلن أقدر على تحمل نفقات دراستي دون عمل.

- اقترضي المال ومددي القرض الطلابي.

- لا أحب الاقتراض. لقد كنت دائماً أعيل نفسي، أمّا التعليم فكان مجانياً.

بدت الدهشة على الدكتور:

- ماذا؟

- والدتي عملت في الجامعة سنوات، لذلك نلت أنا وفنسنت منحة مجانية.. لكن هذه المنحة لا تتعدى الدراسة إلى الاختصاص.

هز الدكتور رأسه:

- لست أدري كيف حدث ذلك. فهذه الجامعة جامعة خاصة، أسسها الصناعي الشهير «ريفرث» الذي سميت باسمه، وهي لا تمنح منحاً مجانية لأي كان.

وتناول الهاتف ليتصل بقسم التسجيل.. فسارعت تشيلسي للتوسل:

- أرجوك دكتور لا تفسد عليّ الأمر.

- لا تخشي شيئاً.

بعد لحظات تحدث هاتفياً إلى الموظفة.

- مرحباً نونا، اسديني خدمة أرجوك. تحري معلومات عن الطالبة تشيلسي ستانتون مستعينة بالكومبيوتر. تقول إنها قد منحت منحة مجانية. أريد أن أعرف إذا كانت هذه المنحة تتجاوز التخرج إلى التصنيف شكراً نونا.

غطى سماعة الهاتف وهمس:

- هذه حجة لتفحص السجلات، وإذا وعدت بالهدوء، سأدعك تسمعين الرد.

- أعدك.

أمسك السماعة بطريقة تستطيع أن تسمع الرد. بعد قليل عاد صوت السكرتيرة:

- دكتور.. أنت مخطىء.. ليس هناك أية منحة فنفقات دراستها دُفعت بشكل عام عند بدء كل سنة دراسة. نحن نرسل الفاتورة بريدياً إلى والدها، وهو يرسل لنا الحوالة.

- شكراً لك نونا. أنا مدين لك بخدمة.

وأعاد السماعة إلى مكانها، ثم أسند ظهره إلى كرسيه.. شحب وجه تشيلسي حتى الموت.

- أوه.. يا الهي.. أتساءل عما إذا كانت بوليصة التأمين كذبة أخرى، والدي يدفعها أيضاً؟

- ألا تعتقدين أنه قد يساعدك الآن؟

هزت رأسها بعنف:

- لن أطلب منه... فأمامي دين كبير أرده له.. سأعود إليك لاحقاً دكتور، فأنا بحاجة إلى وقت للتفكير الآن.

حينما خرجت التقت بجون الذي أخبرها أنه ذاهب إلى مكتب كايد لاسترداد بحثه الذي كتبه لامتحان الفصل.

ما أن بلغا أول درجة من الدرجات حتى توتر جسدها كله ذلك أنها رأت كايد يرتقيه أيضاً. فلم يفته أي شيء، خاصة يد جون المتملكة على ذراعها، فرفعت رأسها متحدية، إذ لا شأن له فهي حرة بالسير أو التحدث مع من تريد.

قال جون:

ـ دكتور إڤرت! كنا نبحث عنك.. أيمكن أن نستلم البحث الفصلي؟

ناول جون بحثه في المكتب، ثم فتش عن بحث تشيلسي وأمسك به مفكراً ثم قال:

ـ أود لو نتناقش يا آنسة ستانتون بشأن بحثك بضع دقائق؟

ـ لدي محاضرة الآن.

ـ وبعدها؟

ـ هل لي رؤية البحث على الأقل؟

ـ هذا يعني أنك لا تودين أن نتناقش؟

انتزعت الأوراق من يده قائلة بحدة:

ـ لا أريد إلا أن ألحق بمحاضرتي دكتور إڤرت.

وتوجهت إلى الباب.. فلحق بها جون معلقاً على ما جرى:

ـ وكأن بينك وبين الدكتور العظيم إثبات من الأقوى.

ـ بإمكانك قول هذا.

ـ ما الدرجة التي نلتها؟

لم ترد عليه، بل استمرت في السير مطأطئة الرأس تقرأ ما كتب عليها من ملاحظات تشير إلى أن كايد قرأ كل سطر وكل حرف كتبته. ثم وصلت إلى الصفحة الأخيرة، وتوقفت مسمّرة

وسط الردهة. فاستدار جون إليها:

ـ تشيلسي.. سنتأخر. ما الدرجة؟

ـ نلت درجة امتياز.

ـ ولِمَ الذهول؟ دعيني أراها.

لم ترد عليه بل ارتدت على عقبيها تعود أدراجها لتصل إلى حقيقة الأمور فوراً. ترى عمَّ كان يريد أن يتحدث إليها؟ حين وصلت لم تتوقف عند بابه ولم تطرقه بل سارت إلى الداخل حتى وقفت قرب مكتبه:

ـ ما هذه؟ رشوة جديدة؟ هل تعتقد أنني إن نلت درجة عالية، أكون ممتنة لك إلى درجة الذهاب معك إلى الفراش؟

رفع حاجبيه ومد يده إلى غليونه ثم قال بهدوء:

ـ متى تنهي ما عندك اعلميني، أكره أن أقاطعك أثناء المزاح.

ـ أنت مخطىء دكتور إڤرت، لن تشتريني بهذا. ماذا كنت تريد أن تقول لي منذ قليل؟

لم ينظر كايد إليها، بل حشا الغليون بالتبغ وأشعله بهدوء فصاحت:

ـ أيجب أن تحمل هذا طوال الوقت؟

ـ ولِمَ لا؟ إنه عيبي الوحيد.

فضحكت بسخرية وأردف:

ـ هل انتهيت؟ أنا لم أعطك هذه الدرجة هبة يا تشيلي بل لقد اكتسبتها بجدارة.

رمت أوراق البحث على طاولته.

ـ لقد سجلت ملاحظاتك على صفحاتها جميعاً مشيراً في كل منها إلى تفكيري غير المنطقي واستنتاجاتي غير المبنية على الوقائع.

- هذا صحيح.. فأنا لم اوافق على معظم استنتاجاتك. لكنك قمت بعمل رائع في عرض المشكلة، ولديك أفكار عظيمة. في الواقع تأثرت بك جداً حتى كدت أعرض عليك وظيفة.

- أي نوع من الوظائف؟

- القيام بذات العمل. البحث عن مشكلة ثم دراسة الإمكانيات وكتابتها حتى أستطيع دراستها لأتخذ منها موقفاً، فوقتي لا يتسع لعمل كهذا. سأحتاج إلى مساعد قدير.

- حسناً.. ألست مسروراً لأنك لم تتهور بارتكاب خطأ فادح كهذا؟

رد بصوت بارد:

- مسرور جداً.

- ما كنت لأقبل على أي حال. قلت لك إنني أكره الأبحاث. وهناك أمر آخر، أوافق أنت من حاجتك إلى مساعدة. أليس من الأفضل لو تسعى إلى النجاح في الانتخابات أولاً؟ ما أعرفه أنك بحاجة إلى رضى الناخبين لا إلى رجالات الحزب.

- اوه.. سيتم انتخابي فلا تشغلي بالك في أمري.

- لن أهدر لحظة في التفكير أو القلق.. صدقني! أنا موقنة بأنك وباتريك تشامبرلين قد تدبرتما الأمر.. والآن بما أني تأخرت على محاضرتي...

وتبعها صوته إلى الباب:

- التحقيق الذي سأقوم به لباتريك تشامبرلين يتعلق بمساوىء المخدرات...

وقفت تشيلسي في مكانها... فتابع:

- وأسوأ مخدر على الإطلاق، كما أشرت أنت في بحثك، هو القانوني منه: «الكحول».

- ثمة من هن أقدر مني مستعدات لمساعدتك.

- ألست متأسفة لأنك لست إحداهن؟

استدارت إليه تواجهه وبسمة زائفة على وجهها:

- أبداً.. سأبقى في الجامعة أجد وأعمل حتى أنال تصنيفاً عالياً فلقد بذلت جهدي حتى قبلت في كلية التصنيف.. ولن أتخلى عن هذا لقاء أي شيء أو أي نوع من العمل قد تعرضه عليّ... هل فهمت هذا دكتور إفرت؟

لم تتوقف في قاعة المحاضرات، فالدكتور بوربون يكره أن يقاطع محاضراته أحد.. ثم إنها لن تستطيع التركيز، ولا تريد كذلك رؤية جون والمشاجرة مع كايد ما تزال ساخنة في نفسها...

قفزت مذعورة حين دوى بوق سيارة من ورائها في الشارع فالتفتت تتساءل عما يدفع السائق إلى أن يطلق زموراً كهذا؟

كانت السيارة الصغيرة الخضراء جديدة وليس لها لوحة للأرقام. ارتدت إلى الوراء حين توقفت أمامها.. وإذ بصوت مرح يأتيها قائلاً:

- سأوصلك إلى البيت!

انحنت لترى وجه المتكلم:

- شارلوت..! ماذا تفعلين في هذه السيارة الجديدة؟ أين سيارة فنسنت التي أكل عليها الدهر وشرب؟

- لقد ذهبت إلى «الكسر» كما كان يجب أن يحدث لها منذ خمس سنوات.

- لكن كيف تمكنتما من شراء هذه؟

- إنها هدية زواج.. ولن تحزري ممن.

- من أبي.

- صحيح. حين عدنا من شهر العسل كانت السيارة القديمة قد

اختفت ومكانها تركت هذه.

ـ وهل سامحه فنسنت؟

ـ تحدث معه عدة مرات. في الواقع أظنه سعيداً بما حدث. إن ما كان يشعر به أشبه بدمل مزمن كان خفياً في قلبه وما دام القيح قد خرج منه فالشفاء محتمل.

ـ أظنك على حق. لكن التشبيه يكاد يصيبني بالغثيان. عديني أن تبعدي الطب عن تشبيهاتك.

ـ حسناً.. أتعرفين لقد تعلمت درساً مفيداً مما جرى وهو ألا أخفي شيئاً عن زوجي بعد الآن.

حين أوقفت شارلوت السيارة أمام المنزل قالت لها:

ـ أتودين الدخول قليلاً؟

ـ لا.. فسيعود فنسنت إلى المنزل بعد وقت قصير.. واليوم دوري في تحضير العشاء.. لماذا لا تأتين وكايد للعشاء؟

ـ أظنه مشغولاً الليلة، وأنا كذلك، شكراً لك على أي حال.

ـ أراك في الأسبوع المقبل إذن. سأتصل بك.

ذلك المساء أوصلها جون إلى المنزل بعد أن شاهدا فيلماً سينمائياً. وقتذاك وقفت معه أمام الباب ترهف السمع لأي حركة من الداخل، أو أي شيء قد يحذرها من ظهور كايد فجأة.

قال لها جون:

ـ أنا آسف لما حدث معنا تلك الليلة. وليتنا نعود إلى صداقتنا.

حين بقيت صامتة تنهد:

ـ حسناً... أراك فيما بعد.

ـ أنا آسفة جون. لقد تمتعت بهذه السهرة.

ـ هذا شيء جيد على الأقل. لو وعدتك ألا أعود إلى تصرفي

الطائش هل تقبلين بأن أحييك تحية المساء على طريقتي؟

ضحكت تشيلسي، ولو مرتجفة:

ـ لا بأس.

كانت قبلته لطيفة محتشمة كالتي اعتادت على تبادلها مع أصدقائها. وعندما ابتعد لوحت له تودعه.. ثم دخلت إلى المطبخ فلاحظت ابريقاً من القهوة الطازجة على طاولة المطبخ، ومعه قطعة حلوى لم تمس بعد. أقفلت الباب وأسندت نفسها إليه، تحاول استجماع قواها للمواجهة المرتقبة. لكن لما تظن أن هناك مواجهة وشيكة.. ربما كايد نائم، أو ربما هو لا يهتم أبداً بما تفعله. إن غيرتها المجنونة من نورما لا تعني أن كايد قد يشعر بشيء تجاه جون.

فتحت عينيها فإذا بكايد واقف في أسفل الدرج يقول لها ببرود:

ـ إذن عدت إلى مقابلة جون من جديد.

ـ وهل هناك مانع؟ لقد أقنعني بأن ما ارتكبه كان غلطة، دفعته أنا إليها.

ثم فكرت في ما يبعد موضوع جون.. فسألته:

ـ أكنت تعلم أن والدي من كان يدفع أقساط دراستي ودراسة فنسنت كذلك؟

وتحركت بحذر من أمامه إلى غرفة الجلوس.. فلحق بها:

ـ كنت أشك في هذا، فهو يعرف كل شيء عن دروسك ودرجاتك.

ـ ولماذا لم تخبرني؟

ـ كان مجرد شك.

ـ اسمع، علينا أن نتجاوز الأسابيع الأربعة بطريقة ما وهي فترة

ستكون عسيرة. فهل لنا أن ندعي أن الأمور ما زالت كما كانت بيننا في السابق؟

ـ لا.

فاستدارت لتخفي دموعها، وأمسكت ببعض الأوراق تعبث بها، فقال بصوت حاد:

ـ لا تلمسي هذه.

نظرت إليه دهشة والأوراق ما تزال في يدها لكنها لم تلبث أن رأت الأوراق تنسل من الملف إلى الأرض حيث تبعثرت هناك.

ـ إنها كتابك..

ـ أعرف ما هي.. ولا أريد أن تلمسيها ثانية.. مفهوم؟

تمتمت:

ـ سألتقطها لك...

كان قد انحنى إلى الأرض لكنه عاد ووقف فجأة حتى ذعرت تشيلسي وارتدت إلى طاولته خشية أن يضربها لكنه رمى ما بيده من أوراق وقال:

ـ اوه تشيلسي.. بالله عليك لا تنظري إليّ هكذا.. لا تخافي مني.

ـ لا أستطيع تمالك نفسي وأنت على هذه الحال. أنا لا أعرفك حين تصبح غاضباً.

ـ ألا تفهمين..؟ أريدك كما لم أرد شيئاً في حياتي، أريدك إلى درجة يكاد معها المنطق ينسل من تفكيري واتزاني.

مد يده اليها، وحين لم ترتد عنه مذعورة، لامس خدها بنعومة كطفل وجل يخشى أن يلمس لعبة خزفية.

ـ لن اؤذيك تشيلسي.. أعدك.

لكنه لاحظ الشك في عينيها فتنهد عميقاً.

ـ لا أعلم ماذا أفعل، لكنني سأرحل لئلا أؤذيك.

ـ سترحل الآن؟

ـ هذه أسلم طريقة لنا وسأعلمك أين سأقيم... لكن إياك أن تخشيني بعد الآن فلا أطيق نظرتك الوجلة هذه.

حين رفعت رأسها كان قد ذهب وما عادت تسمع إلا حركاته وهو يوضب حقائبه في الأعلى. عندئذ راح تفكيرها يصرخ بها طالباً الوقت والهدوء للتفكير لكن ما من وقت.. وما من هدوء، فكل ما تسمعه قول نفسها:

ـ أصبحت الآن تعرفين ما تريدين تشيلسي! والسؤال الآن هل أنت قوية لتسعي إلى ما تريدين؟

* * *

١١ ـ أطلال الذكريات

التقطت أوراق الكتاب المبعثرة ورتبتها على طرف طاولته. وما أن انتهت بعد بضع دقائق حتى كانت الغرفة التي فوقها قد أصبحت صامتة.

كانت ترتجف خوفاً وهي ترتقي الدرج وصولاً إلى غرفته التي طرقت بابها بيد مرتعشة.

ـ اذهبي من هنا تشيلسي.

دفعت الباب ثم دخلت.

كان يقف في الغرفة المظلمة أمام النافذة وظهره إليها وأحست بارتعاشات باردة في عروقها وهو يلتفت إليها.

ـ تباً تشيلسي! قلت لك اذهبي.

أقفلت الباب وراءها، وأسندت نفسها إليه فقال لها:

ـ سأذهب بعد دقائق، عودي إلى غرفتك واقفلي الباب عليك.

ـ لا.. قلت لي مرة إنني إذا أردت تعلم الحب فلأبحث عمن يفهم الموضوع.. حسناً.. أنا مستعدة الآن لتعلمني الحب.

ـ اخرجي من هنا تشيلسي!

ـ وقلت كذلك، إنني حين أغير رأيي يجب أن أقنعك أنني أعني ما أقول. فماذا علي القيام به لإقناعك؟

تقدمت منه ببطء، وتركت ليديها حرية تلمس عضلات ذراعيه. ثم رفعت يديها لتمسك برأسه وتحنيه إلى الأمام هامسة:

ـ عانقني كايد.. أرجوك.

اجتاحت جسده رعشة فرفع أصابعه القوية إلى خدها، ثم أبعدها عنها وكأنه يتألم.

ـ الوقت ينفذ منا.

ـ ما زال أمامنا أربعة أسابيع أريد أن أمضي أيامها معك.

لم يعد صوته خشناً ولكنه بقي حازماً

ـ اخرجي من هذه الغرفة، ما دمت قادرة على ذلك.

ـ لن أخرج. عليك أن ترميني خارجاً.

خلعت حذاءها، ورمت سترتها، ثم أخرجت الدبابيس من شعرها الأشقر فلمّا انسدل على كتفيها راحت تمرر أصابعها في خصلاته الذهبية وترفعه عن عنقها.

كان قلبها يخفق بشدة لكنها حاولت أن تكون عفوية بتصرفاتها التفتت نحوه تواجه النافذة، فسقط نور القمر على جسدها.

تحركت بسرعة فسحبت الأغطية عن السرير ورتبت الوسائد، ثم جلست على حافة الفراش تنظر إليه وضوء القمر يتهادى عليها:

ـ ألم تعد تريدني كايد؟ (سألته بعذوبة).

وأردفت لنفسها بحزن: إن كنت لا تريدني، فسأجلس متكوّرة هنا وأموت في الحال!

ـ أوه.. يا الهي.. بلى!

خرجت الكلمات من فمه وكأنها تمزّق نفسه.

ـ إذن.. ما الذي يخيفك؟

ومدت له يدها، فتقدم عبر الغرفة ليمسك بها:

ـ هل أنت واثقة تشيلسي؟

هزت رأسها إيجاباً فوقف متردداً بينما هي شعرت بخفقات قلبها تدوي دوياً مرتفعاً يكاد يصل إلى مسمعيه. ارتدت فوق

الوسادة لتسند مرفقها إليها، أما هو فدنا منها.

كانت لمساته كالنار فوق بشرتها الرقيقة التي راح يرتجف منها كل عصب من أعصابها. لقد أثارتها من قبل لمساته، لكنها لا تُقارن بما تشعر به الآن.

عندما لاحظت خطين عميقين بين عينيه، حاولت مسح العبوس عن جبينه فهمست له:

ـ أرجوك لا تعبس.. سيكون الأمر رائعاً بيننا كايد.. ولا تخشَ أن أطالبك بأكثر مما أنت مستعد لتقديمه لي. بعد أربعة أسابيع سترحل أنت وأبقى أنا هنا، فلماذا لا نتمتع بما تبقى لنا من أوقات نقضيها معاً يا حبيبي. سمها فترة فاصلة...

دفعها عنه ثم نهض عن السرير، فراقبته حائرة وهو ينتعل حذاءه الرياضي ويشده بقوة غير ضرورية.. فسألته:

ـ كايد؟

لكنه قاطعها:

ـ أحتاج إلى وقت للتفكير تشيلسي.

بعد دقيقتين سمعت صوت الباب الخلفي يغلق فأغمضت عينيها على الألم الأسود في نفسها.. لقد توسلته ورجته لكنه رفضها ونبذها بعد أن رمت نفسها عليه.

كانت قد نسيت نورما لكن لا يبدو أن كايد نسيها، ترى أيخشى أن تخبر نورما والدها بعلاقته بتشلسي؟ أيخشى أن يتخلى عنه ذاك السياسي فيخسر ما تصبو نفسه إليه؟ ألهذا هجرها الآن وابتعد؟ تلك الليلة لم تعرف كيف طرق النوم جفونها فقد راح ألم الجرح والحياء يلفها بدثار مظلم وراحت أفكارها تذهب بها تارة ذات اليمين وأخرى ذات اليسار حتى غفت أخيراً.

* * *

رمت تشيلسي الأغطية وتركتها تسقط أرضاً بطريقة عشوائية ثم نهضت وجذبت ثيابها عن الكرسي الذي تركتها عليه ليلة أمس. وقفت تحت الدوش فترة طويلة، تختلط دموعها بالرذاذ الحار. كانت تريد أن تنظف نفسها من آثار ما كانت ستقدم عليه البارحة.

أنت من طلب هذا.. أنت من طلب الذكريات، وها أنت ستحصلين عليها. ظننت أنك تستطيعين الاستغناء عنه بسهولة وها أنت تكتشفين شدة غبائك يا تشيلسي ستانتون.

نزلت إلى الطابق الأرضي وهي تنظر إلى ساعتها.. فنادراً ما يعود كايد من هرولته الصباحية قبل ساعة.. وأمامها بضع دقائق للفرار.

الفرار؟.. أجل.. هذه هي الكلمة الصحيحة، فالليلة التي كانت تمني النفس بها انقلبت كابوساً. أحست بأنها بحاجة إلى شخص ما، فالتقطت القطة وحضنتها. فماءت بصوت مرتفع احتجاجاً، وقفزت من بين ذراعيها.

حتى القطة رفضتك...!

وثار الغضب في أعماقها، غضب من نفسها، لماذا توقعت أن يكون لاعترافها برغبتها فيه صدى مميز في نفسه؟ انها بالنسبة له عذراء تبعث الرعب، فمن هي بالنسبة للجميلات اللواتي عرفهن في حياته.

بدا العالم غريباً عنها هذا الصباح.. ونظرت من نافذة غرفة الجلوس فشاهدت الأرض القذرة في الخارج.. لقد ذاب الثلج في كل مكان إلا الظليل منه، تاركاً الوحل.. ومع أن الفصل ربيع إلا أن المطر الربيعي لم يتساقط بعد ليغسل وحل الشتاء منظفاً الأرض أمام النبات الجديد النظيف.

قفزت مذعورة من سماعها صرير الباب الخلفي.. لقد فات أوان الفرار.. فهي لن تقدر على الهرب دون أن يسمعها، إلا إذا صعد إلى الحمام ليغتسل.

لكنه لم يصعد، بل سمعت الماء يجري في مغسلة المطبخ. ثم لم يلبث أن ساد صمت بقيت خلاله واقفة مسمرة مخطوفة الأنفاس تقريباً.

حين أجبرت نفسها على التوجه إلى باب المطبخ كانت القهوة قد توقفت عن الغليان. رفع كايد نظره ثم عاد يصب القهوة وكأنه لم يرها من قبل. مدت يدها إلى فنجان ثم راحت تملأه، عندما انتهت كان قد استدار حول الطاولة وجلس فتركت ظهرها إليه. ثم قالت من فوق كتفها:

ـ آسفة لتصرفي ليلة أمس. أريد أن تعرف أنني لا ألومك على شيء. أنا من رميت بنفسي عليك ونلت ما أستحقه.

قال كايد بعد صمت طويل:

ـ لا أحسبني أفهم قولك.

ـ كايد.. اتضح لي الوضع وضوحاً تاماً هذا الصباح. اسمع قد أكون ساذجة بريئة، لكنني لست بلهاء. لم أكن مثيرة للبهجة في نفسك ليلة أمس.. وأنا آسفة...

تحرّك كرسيه فوق الأرض محدثاً صوتاً فتسمرت تشيلسي في مكانها ولم تشعر إلا وأنه ينتزع الملعقة من يدها ويرميها في المغسلة ثم هي إلا هنيهة حتى أطبقت يده على ذراعها ليديرها إليه وقد أرعبها التعبير المرسوم على وجهه.. فهمست:

ـ كايد؟

ـ لقد قدمت لي هدية ثمينة ليلة أمس تشيلسي.. ويجب أن تعرفي أنني أقدرها أي تقدير.

لمسته أشعلت النيران في جسمها كله حتى وجدت صعوبة في التنفس. إن مجرد وجوده قربها يجعلها ترتعش. ثم بلطف، رفع وجهها إليه وطبع قبلة على وجهها، بحنان ووقار...

لكن هذا لا يكفي.. خرج من أعماق نفسها صوت محشرج بدائي صغير.. ثم جذبته إليها أكثر وأكثر، وكأنها تستطيع بالقوة الجسدية وحدها أن تبتلعه إلى داخلها إلى الأبد.

لكنه أبعدها عنه، متنفساً بصعوبة، وقال بصوت بدا لأذنيها اتهاماً:

ـ أنت بريئة جداً، ولا تعلمين أبداً أن الأمر لن يدوم هكذا إلى الأبد.

ـ أليس كذلك؟

ـ لا.. ليلة أمس لم يكن فيها مرح لي.. بل كانت مجرد ثورة لم أتوقع أن أواجهها.

ـ ثم...

ـ الأمر صعب تشيلسي.. لن أستطيع التخلي عن عملي، لقد وعدت باتريك تشامبرلين بالعودة إلى لندن ولن أستطيع التراجع الآن.

لكن تشيلسي لم تعد تهتم. لقد أخبرها بما تريد أن تسمع.. قال إنها جذابة مرغوبة وإنه يريدها. وليس عليها في الوقت الحالي القلق على ما سيأتي لاحقاً فقالت:

ـ لا يهم كايد.. أمامنا شهر كامل...

ـ أنت لا تفهمين.. لا يمكنك اختصار الزمن والحياة والحب في ثلاثين يوماً ثم تسحبين سلك الطاقة من المقبس. كيف تفكرين في أن علاقة تدوم أربعة أسابيع قد تزول وتتوقف بلمسة زر؟ إن علاقة كهذه لا تخبو نارها بسرعة. وماذا عن عملي في لندن الذي

لا أستطيع أن أنجح فيه وأنت هنا؟ ثقي بي تشيلسي، فأنا أعرفه.

كانت قد دفنت رأسها في كتفه، تحاول منع كلماته من التغلغل إلى اذنيها. تعرف أنه على حق، لكن ذلك الصوت الصغير في مؤخرة عقلها الباطني كان يصر عليها حتى تقاتل.. فسيكون كايد لنورما مدى الحياة وهي لا تريده إلا أربعة أسابيع فقط تحتفظ بذكراها إلى الأبد. ترى أيخشى ألا تتركه يرحل بعد شهر؟ فحاولت أن تطمئنه:

ـ لن أحاول منعك من الرحيل.. سأتركك تذهب.. أنت قلت إنك تريد علاقة معي...

ـ وما زلت أريدها.. لكن الأمور تبدلت تشيلسي.

طبعاً.. لا يستطيع التورط بعلاقة الآن. فهذا قد يعرض خطوبته للخطر... اجتاحتها التعاسة.. أهذا هو الثمن الذي يجب أن تدفعه؟؟

وقال لها:

ـ رافقيني إلى لندن. ثمة كليات اختصاص عديدة هناك.

ـ لا بد أنك مجنون.

أتتقاسمه مع نورما؟ أتقدر على البقاء في شقة صغيرة في لندن تنتظره بشوق بينما هو مع نورما التي ستطالعها يومياً في صحف تتحدث عن حفلات نورما ونجاح نورما... نورما السيدة كايد برنارد إفرت!

لا.. لن تقوى صبراً والأفضل لها الانفصال عنه، وهزت رأسها مجيبة:

ـ سأبقى هنا لأنال تصنيفاً عالياً. ثم أسافر بعد ذلك إلى منطقة ما لأعلم. ربما أسافر إلى أميركا.. فسيساعدني والدي بالحصول على عمل.. ولطالما رغبت في أن أرى أميركا.

كان صامتاً لا يرد... فتابعت متلعثمة:

ـ لا أطلب منك إلا هذه الأسابيع الأربعة وأعدك أن أكون كتومة يا كايد..

أمسكت يداه بكتفيها.

ـ توقفي عن هذا وفكري تشيلسي! أنقيم علاقة عابرة أربعة أسابيع ثم نفترق إلى الأبد.

ـ ربما نلتقي أحياناً.. أنت تسافر كثيراً..

ـ اللعنة.. ألا تسمعين ما أقوله لك تشيلسي!

اندلع الغضب كالنار في داخلها وصاحت:

ـ لماذا لا تثق بي؟ أتخشى أن تقضي علاقتنا على مستقبلك السياسي؟ أهذا ما يزعجك؟ إن علاقة كهذه حطمت سياسيين عدة، لكنني لن أدع شيئاً كهذا يحدث. لن أذيع الخبر بل سأتركه طي الكتمان، تستطيع الفوز بالمركز الذي تطمح إليه نفسك.

مرت خمس دقائق كاملة من الصمت الرهيب الذي قطعه كايد بقوله:

ـ ماذا تريدين بالضبط تشيلسي؟

ـ أريد أربعة أسابيع من السعادة معك، وهذا كل شيء. أعلم أنك مضطر للعودة إلى لندن، وأن عليّ البقاء هنا. لا أريد أن أدمّر مستقبلك. ولن أقف حجر عثرة في طريقك.

وإن اقتضى ذلك أن يتزوج بنورما؟ طرح نصفها الصامت عليها هذا السؤال.. فأجابت بحدة وحزم: أجل! حتى هذا! لأنني إن استطعت الحصول عليه أربعة أسابيع، يبقى لي منه دائماً وإلى الأبد ذكرى حية لن أنساها وأكملت بهدوء:

ـ أنا أهتم بك.. وأريد منك بعض الذكريات.

ـ كيف تقولين إنك تهتمين بي فأنت ترفضين مرافقتي إلى

لندن؟ أنا لا أطلب منك التخلي عن تعليمك.. بل أن تنالي تصنيفاً عالياً في مكان آخر.

أحست أنها تمزق نفسها وهي تنظر إلى ساعة المطبخ وتقول بمرارة:

ـ لديّ صف بعد خمس عشرة دقيقة.

بدا الذهول عليه، لكنه قال ببرود:

ـ وكذلك أنا.. امهليني خمس دقائق حتى أستحم وأقلك.. وسأكون محظوظاً إن تذكرت موضوع الدرس أو ما سأقوله عنه.. لكن من الأفضل أن أذهب.

ـ لا.. شكراً. سأشعر بأني أفضل حالاً لو مشيت... وداعاً كايد.

ـ أيعني هذا أنك لن تعودي؟

ـ لست أدري بعد. يبدو أن لا أمل أمامنا للتفاهم...

صمت.. فأقفلت الباب وراءها بهدوء ثم سارت في البرد القارس نحو الجامعة، وهي لا تكاد تلاحظ الجو القاتم أو السحب الكثيفة الواعدة بالمزيد من الثلج. فكل ما كانت تشعر به ألماً شديداً في قلبها.

من الأجدى والأنفع لها ألا تهدر وقتها في غرفة المحاضرات ذلك النهار فاستعاضت عن الذهاب الى قاعتها بالدوران من غرفة إلى أخرى مذهولة لا تعي من المحاضرات شيئاً، ولاحظت، حوالي الظهر، أن الثلج عاد إلى الانهمار فشعرت بأن هذا الثلج هو آخر ما يُضاف من كآبة إلى هذا اليوم الجهم.

كان لدى الدكتور ديكنسون طالب آخر حين توقفت أمام مكتبه، ورغم علمها بأن مقاطعته تعتبر تصرفاً سيئاً إلا أنها فعلت:

ـ دكتور.. إذا قررت الانتقال من هذه الجامعة، أيمكن نقل

طلبي إلى جامعة أخرى!

ـ هذا وقف على المكان... لكن قد يعني هذا لك البدء من جديد، والوقت متأخر على الانتقال. وإلى أين ستنتقلين؟ إلى أميركا مع والدك؟

ـ فكرت فيه.

ـ حسناً.. كوني ذكية وامكثي في هذه الجامعة حتى السنة القادمة. انتظري قليلاً لأتحدث إليك.

لكنها لم تنتظر بل خرجت تحت الثلج المنهمر، وسارت مسافة طويلة مشدوهة، تنظر بدهشة فيما بعد فإذا بها أمام عتبة مطعم المعجنات. عندها فقط أدركت أنها متجمدة وأن الصقيع يكاد يصل إلى قلبها.

جلست إلى طاولة قرب الواجهة، وحدقت خارجاً إلى تلك النافذة العريضة المضاءة التي بدأت عندها معاناتها. نافذة غرفة جلوسهما التي عُلقت عليها تلك اللوحة التي أعلنت عن شقة للإيجار.

ليتها تعيد الزمن إلى ذلك اليوم لتتجاهل اللوحة وتهرب بأقصى سرعة ممكنة...

لكنها ما كانت لتركض.. وما كانت لتبدل شيئاً أو تغيره فحب كايد يستحق كل الألم. احضرت لها الساقية كوباً من الشاي راحت تضع فيه السكر وتحرّكه، وتحدق إلى العاصفة الثلجية تفكر في القدر... فمنذ ثلاثة أشهر تشارك شخصان طاولة في مطعم المعجنات الجاهزة، ومنذ ذلك الوقت تغيرت حياتهما إلى الأبد.

أو... على الأقل.. حياتي أنا تغيرت. وكما قالت لي نورما يوماً، كايد لا يقف على أطلال الذكريات، فهي ليست بالنسبة له أكثر من ذكرى.

أم يا ترى هناك فرصة على كل حال؟ ماذا سيحدث لو رافقته؟ إذا كانت هذه هي الطريقة الوحيدة للحصول عليه فهل عليها التمسك بها والصبر لعل حبها ينفذ إلى قلبه. والسؤال الآخر هل سيقدران على كتم أمر علاقتهما لئلا يتعرض مستقبله للخطر؟

أيمكن أن تثق به..؟ أدهشها أنها لا تجد غير الثقة في قلبها.. قد تحمل نورما اسمه.. لكنها لن تعرف الرجل الحقيقي، لن تعرف كايد إفرت الخطير الذي لا تشاركه أي شيء... فهذا الجزء منه سيبقى أبداً لتشيلسي.

دخل رجل طويل أسود الشعر إلى المطعم، ينفض الثلج عن كتفيه.. فتقوقعت تشيلسي في مقعدها... لكن كان من المستحيل أن تختفي.

تمهّل كايد أمام المقصف حتى تناول قهوته التي حملها إلى طاولتها.

- هل لي أن أجلس؟

هزت رأسها وقالت:

- لا تحمل سندويشاً اليوم.

صمت قليلاً ليرشف قهوته ثم قال فجأة:

- ماذا لو بقيت هنا سنة أخرى؟

- لا يمكنك.

- عرضت عليّ الجامعة عقداً لا بأس به، بوربون سيتقاعد وقد أحل محله.

قفز قلب تشيلسي فرحاً. سيبقى هنا... وحركت الشاي ثم رفعت عينيها الدامعتين:

- ماذا ستقول لباتريك تشامبرلين.. كايد؟ لن تستطيع التخلي عنه.

- بل أستطيع. فهناك أعمال أخرى في لندن.

- إن عرضاً كهذا لا يأتي إلا مرة واحدة. إن لم تقبل عرض تشامبرلين بحد ذاته سيجد شخصاً آخر يرعاه ويرقيه، حتى إذا ما جاء موعد الانتخابات...

هز كتفيه مقاطعاً:

- اذن.. فليكن ما يكون.

نظرت إليه وهي لا تصدق عينيها:

- وهل تتخلى عن السياسة يا كايد؟

- لا أظنني قادراً. فالسياسة تجري في دمي لكني سأؤخر نشاطي سنة حتى تنهي تصنيفك وأعود بعد ذلك إلى لندن، قد يكون هذا صعب لكن باتريك سيفهم.

أحست بالفرح لأنه واثق بأنه قادر على شرح الأمر لباتريك شامبرلين... في هذه اللحظة ندمت لأنها أصغت إلى نورما وتساءلت عمّا سيقوله لخطيبته وهمست:

- هل أنا مهمة إلى هذه الدرجة بالنسبة لك؟

تنهد عميقاً:

- ما عاد للحياة طعم أو رونق بدونك.. يبدو هذا غباء أليس كذلك؟ لكن.. إذا كانت درجة الاختصاص اللعينة هذه مهمة لك..

مسحت تشيلسي دموعها بمنديلها وحاولت البحث عن صوتها.. إنه يتخلى عن أهم شيء في حياته ليبقى معها.

- سأذهب معك فلا داعي إلى الانتظار سنة.. سأذهب معك حالاً.

- وهل تذهبين حقاً؟

هزت رأسها إيجاباً منتظرة صدمة الخوف والرهبة، ولكنها لم تتلقاها. كان كل ما تشعر به إحساساً عميقاً بالراحة.. فلقد اتخذت

قرارها، ولا تعبأ به وإن كان خاطئاً.

- ثمة ثمن لهذا يا تشيلسي.. فلن نعيش معاً إلا حسب شروطي.

فكرت متوسلة، لا تقل شيئاً عن نورما.. أرجوك! لا أريد أن يكدر ذكرها الآن سعادتي ولا أن تؤلمني شروطك.. دعني فقط أحلم بضع دقائق إن الحياة جميلة معك.

لكن كايد كان يردف:

- يلزمنا اسبوع حتى نعقد قراننا، وأنا لا أريد أن أضيّع الوقت فإن لم يستطع والدك المجيء في الأسبوع المقبل نعقد القران بدونه.

سألته بصوت منخفض مذهول:

- الزواج؟

أمسك بيدها فوق الطاولة:

- اسمعي.. أعلم أننا لا نحترم الزواج بسبب زواج أهلنا الفاشل. لكن إذا كنت سأبرز أمام الرأي العام فلن أسمح بأن يكون هناك أقاويل عن سمعتي... وستكونين أنت أنظف ما في حياتي وأروعها، لذا لن أسمح أن يمسّك أحد بكلمة واحدة.

- لكن.. الزواج؟

- فكري فيه فهو خير طريق إلى الصواب.

فقاطعته:

- وماذا عن نورما؟

- وماذا عنها؟

- ألستما خطيبين؟

- ومن أخبرك بهذا؟

- هي أخبرتني قائلة إنك ستتزوجها.

- وهل قالت إنني تقدمت إليها فعلاً؟

- لا أذكر.. ظننت هذا.

- كان هذا حلم حياتها منذ خمس سنوات. وقد حاولت تبديل أوهامها هذه من حين لآخر لكن الحلم كان يعود إليها دائماً.

رفع راحة يدها إلى شفتيه:

- وماذا حسبتني أقصد؟

- اعتقدتك تريد علاقة معي.. ألم تكن هي فكرتك؟

- صحيح.. لكنني تأخرت حتى أدرك أن علاقة عابرة لا تروقني. فما رأيك؟ أتريدين أن تصبحي امرأة شريفة؟

- وماذا عن عملك مع باتريك؟ فإن لم تتزوج من ابنته...

- سيقول لي عندها إن عقلي راجح.. نعم هي ابنته، لكن بصيرته ليست عمياء عن مساوئها.

- وماذا عن والدك؟

- والدي لا يكترث بمن سأختار زوجة ما دمت مقبلاً على الزواج وشيكاً، لكنه بعد أن يتعرّف إليك سيؤمن بأنك لطيفة رائعة...

أوقفها على قدميها ثم أمسك المعطف لترتديه.

- هل لنا أن نذهب الآن لنتصل بأدي لندعوه إلى حفلة زفاف آخر؟

فعادت تسأله، لأن عقلها ما زال متضعضعاً.

- لكن.. لماذا لم تقل إنك تريد الزواج بي.

- لأنك بقيت تتحدثين عن الأسابيع الأربعة الباقية وكأنك لا تحتملين البقاء معي أكثر منها. وما عهدتك منذ بداية الربيع إلا قائلة إن المجنونات وحدهن هن اللاتي يتزوجن، وأنت حتى الآن لم ترديّ عليّ.

أخذت عيناها تلمعان كنجوم ساطعة.

ـ نعم.. كعيد.

ـ فلنخرج من هنا قبل أن أفتعل فضيحة في الجامعة كلها.

وبينما هما يسيران باتجاه المنزل، وقفت مسمرة ونظرت إليه فسألها فاقد الصبر:

ـ ماذا الآن؟

ـ لقد نسيت أن أدفع ثمن الشاي.

رنت ضحكته في الزمهرير الشديد وقال:

ـ أرى أن لا مهرب لي من الترشيح لرئاسة الوزراء.. فأنت بحاجة إلى مخبرين سريين للاهتمام بالتفاصيل التي لا تستطيعين تذكرها.. تشيلسي.. حبيبتي.

وشكّل الثلج المتساقط ستارة حولهما حجبتهما عن عيون الناس.

* * *